جمهورة العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مواكب الخلفاء في العصر الفاطمي (358-567هـ/971-1171م)

Processions of Caliphs in Fatimian Time (567-358 H.-971-1171 A.D(

by

Abstract

This Study (Processions of Caliphs in Fatimain Time) has importance From many Sides such as the Following:

Those Processions Showing the greatness of this state, also to - distinguish Power and influence - Thesis is divided for three Sections: Section one , which have Study and form of Place of Procession but included on types of procession.

Section two Concentrated on types of Procession. At the end, Section three the beginning of Procession emergence.

المقدمة

تدور هذه الدراسة حول (مواكب الخلفاء في العصر الفاطمي) كدراسة تأريخية، لها أهميتها في تاريخ الإسلام السياسي والحضاري عموماً. وتبرز هذه الأهمية حول مظاهر الترف والفخامة التي حرص الخلفاء الفاطميون الظهور فيها أمام العامة.

يشكل موضوع مواكب الخلفاء جانباً مهماً باعتبارها أحد أهم المظاهر الحضارية، وتعكس انماط الحياة الرسمية في عاصمة خلافتهم فلابد من ان تنظر بأهتمام كبير إلى مجرى الحياة الرسمية فيها ولاسيما مواكب الخلفاء.

اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، المبحث الأول فقد تألف من اربع محاور ذكرت في المحور الأول مظاهر تهيئة المواكب من حيث تسمية الأشخاص المرافقين للمواكب، والقى المحور الثاني الضوء على تهيئة مكان الموكب بدأ بالحديث عن سرير الخليفة، وتهيئة أماكن جلوس العامة الحاضرين لمواكب الخلفاء، كما تناول مظاهر تزيين المكان، بينما تطرق المحور الثالث على المواكب النهرية وكيفية اعدادها، وتهيئة دواب الخليفة، وتضمن المحور الرابع اعداد ملابس المواكب.

وركز المبحث الثاني على أنواع المواكب في العصر الفاطمي (358-567هـ/ 971-1171م).

وخصص المبحث الثالث عن مظاهر مراسيم بدء المواكب ، وقد قسمت هذا المبحث على خمس محاور:

المحور الأول تناولت فيه : الاستعدادات الأمنية المرافقة للمواكب، بينما المحور الثاني تكلمت فيه عن : آداب المسايرة في مواكب الخلفاء الفاطميين، وتحدثت في المحور الثالث : عن الطيب والتطيب، بينما المحور الرابع خصص للحديث عن توزيع العطايا على الحاضرين أما الخامس فقد تضمن أقامة الولائم في حضرة الخليفة.

الملخص

اهتمت الخلافتين الأموية والعباسية بالرسوم باعتبارها واحدة من أهم المظاهر الحضارية ومن بينها مواكب الخلفاء، وايضاً شهدت مصر قبل حكم الفاطميين ولاسيما في عصر الطولونيين ومن بعدهم الاخشيديين اهتمامهم بالمواكب وإن كانت لاتشهد ذلك الترف والابهة التي أصبحت عليها في عهد الفاطميين [1].

ويروى ان ابن طولون اهتم بمكان جلوسه في المواكب واتخذ لنفسه العرش وامتازت الاحتفالات على عهده بالابهة، وكما كانت تقام المآدب والاسمطة ولاسيما في المناسبات والاحتفالات التي يقيمها [2]؛ وكانت تنصب موائد الطعام والحلوى في الاعياد خلال العصر الاخشيدي، فقد أمر ابا بكر محمد بن علي الماذرائي وزير الدولة الاخشيدية بأن يعمل له كعكاً وسماه (افطن له) وعمل عوضاً عن حشو السكر دنانير، فلما حضر الناس في يوم العيد اكلوا من طعامه واراد بعض خدمه ان يؤثر أحد الأشخاص فقال له: افطن له، واشر إلى الكعك، فتناول منه وصار يأخذ ما في حشوه من الذهب .[3]

واتخذ ابن طولون لنفسه موكباً، يتقدمه صبيان الركاب وبجانبه افراد حرسه الخاص، مرتدين الملابس المزركشة وحاملين اسلحتهم ودروعهم ورافعين الاعلام السوداء، نسبة إلى الدولة العباسية. اما المواكب العسكرية وعرض الجيش فقد عرضت مصر هذا النوع من المواكب في عهد الطولونيين ومن بعدهم الاخشيديين، فقد كان محمد بن طغج يخرج في موكبٍ لاستعراض جيشه في أيام الاعياد وفي بعض المناسبات الأخرى كما كان يفعل ابن طولون من قبله .[4]

وأقدم اشارة نستدل منها على مشاركة الأمراء الطولونيين للمصريين في الاحتفال بوفاء النيل ما كتبه ابن رسته في كتابه الذي الفه عام 290 هـ .[5]

وقد عرف المصريون – في العصر الاخشيدي – التقليد المتبع بشأن الاحتفال بإنزال السفن إلى البحر حين يتم بناؤها وخروج الأمير الاخشيدي في موكب لمشاهدة هذا العرض، فقد روى يحيى بن سعيد في حوادث سنة 349هـ لما تهيأ الناس إلى غزو بلاد الروم : " وركب كافور إلى دار الصناعة ووقف ليطرح مركباً حربياً عظيماً كان بها إلى البحر ... ، فأجتمع الناس وجلسوا على حافته وتزاحموا عليه لينظروا نزول الموكب إلى البحر " .[6]

اما في العصر الفاطمي فقد بلغت مظاهر الحضارة أوج عظمتها وطغت اثارة على ما كان في مصر قبلها من مظاهر، وقد عرف الفاطميون المواكب والرسوم المصاحبة لها منذ العصر الفاطمي الأول غير انها ابطلت عام (487هـ/ 1100م) عقب وفاة الخليفة المستنصر بالله مادة عشرين عاماً كان فيها الأفضل بن بدر الجمالي هو الحاكم الفعلي والمسيطر على مجريات الأمور فتعطلت الكثير من رسوم الدولة وفي عام (516هـ/ 1122م) اعيدت الاحتفالات وشهدت الرسوم تطوراً كبيراً في عهد الخليفة الأمر بأحكام الله.

المبحث الأول: مظاهر اعداد المواكب في العصر الفاطمي 358-567هـ

---

[1] الحويري، محمود محمد، مصر في العصور الوسطى، ط1، القاهرة، 1996، ص146.

[2] البلوي، ابي محمد عبد الله بن محمد المديني، سيرة احمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، القاهرة، لا.ت، ص 75.

[3] ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف (ت 677هـ)، اخبار مصر، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية، القاهرة، 1981، ص 127.

[4] البلوي، سيرة احمد بن طولون ، ص 75؛ وينظر: الأنصاري، ناصر، المجمل في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1991، ص 104؛ كاشف ، سيدة إسماعيل ، مصر في عصر الاخشيديين، مطبعة فؤاد الأول ، القاهرة، 1950، ص 247.

[5] ابو علي احمد بن عمر(ت 290هـ)، الاعلاق النفيسة، ليدن، 1891-1892، ص116.

[6] الانطاكي (ت 458 هـ)، تاريخ الانطاكي المعروف بصلة تاريخ اوتيخا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس - لبنان، 1990، ص 93.

امتاز العصر الفاطمي بتهيئة المواكب العظام والمواكب الخاصة وتُعقد مظاهر كتهيئة تلك المواكب بدءاً من مظهر الخليفة أو الأشخاص أو الافراد المصاحبين للخليفة، لاسيما رجالات الدولة الذين اقترنت شخوصهم بشخص الخليفة نفسه، أو الذين يمثلون مؤسسة الخلافة الفاطمية كقادة الجند أو القضاة.

أولاً: مفهوم الموكب لغةً واصطلاحاً:

مفهوم الموكب لغةً:

قال الجوهري : " الموكب بابةٌ من السير والموكب القوم الركوب على الابل للزينة، وقد أوكب البعير إذا لزم الموكب. وتقول: واكبت القوم اذا ركبت معهم " .[7]

اما ابن منظور فقد قال : " الموكب الجماعة من الناس رُكباناً ومشاةٌ " [8]، ويستمر ابن منظور في وصف حالة الموكب إذ يقول : " والموكب: جماعة ركبان يسيرون برفقٍ ، وهم أيضاً القوم الركوب للزينة والتنزه، اراد أنه لم يكن يسرع السير فيها " .[9]

وهكذا نستخلص ان على جماعة الناس الذين وصفوا كونهم سائرين في المواكب ينبغي ان يسيروا برفقٍ أي ليس بسرعة لاحترام موكب الخليفة ، فعلى العوام احترام أو الالتزام بآداب مسايرة الخلفاء عند الاستعراض العسكري أو موكب الاعياد أو موكب الصيد للتنزه.

مفهوم الموكب اصطلاحاً:

اتسع الموكب ليشمل اليوم الذي يجلس فيه الخليفة للناس مجلساً عاماً، وتصنف مجالس الخلفاء إلى نوعين مجالس خاصة، ومجالس عامة . وكان من الرسوم أيضاً حفلات الاستقبال الرسمي التي تقام في القصر وهي تُعرف بالجلوس للتمييز عن الركوب .[10]

ثانياً: مظاهر تهيئة افراد الموكب:

لابد من التمييز بين نوعين من الافراد المصاحبين للمواكب العامة والخاصة، فغالباً هناك افراد جلهم من الحرس أو الجند المصاحبين للخلفاء أو الوزراء ومن افراد البيت الفاطمي معدين ومصطفين بأحسن حلتهم وبزتهم العسكرية، فضلاً عن وجود عامة الناس من المتفرجين على المواكب، لذلك كان يجري تحديد المكان واليوم والشهر قبل تهيئة افراد المواكب، ولتلك المواكب أسباب لإقامتها سياسية أو دينية.

كان عبيد الله المهدي يحيط به حرسه الشخصي في اثناء خروج الموكب في مقدمتهم أبناء البيت الفاطمي وبهذا الصدد ذكر المقريزي ان عبيد الله المهدي عندما قرب من رقادة عام (296هـ/905م) تلقاه أهلها في موكبٍ رسمي وايضاً اهل القيروان وأبو عبد الله الشيعي ورؤوساء كتامة مشاة بين يديه، وابنه أبو القاسم محمد (القائم بأمر الله) خلفه فسلموا عليه، فردَّ عليهم وأمرهم بالانصراف ونزل في قصر من قصور رقادة .[11]

وعندما توجه الخليفة المعز إلى مصر ودخل القاهرة في (7 رمضان عام 362هـ/975م) ومعه جميع أولاده وخدمه، وسائر أولاد المهدي [12]؛ وخرج الخليفة العزيز بالله في موكب رسمي عام (384هـ/ 997م) مع ابنه منصور وركبا العشاري لاستقبال أسطوله الحربي المنتصر عند عودته إلى القاهرة .[13]

---

07 إسماعيل بن حماد (ت 393هـ)، الصحاح المعروف بتاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبدالغفور عطار، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، لا.ت، ج1، ص 234-235.

08 جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، بيروت ، 1970، ج3، ص 973 (مادة وكب).

09 المصدر نفسه ، ج3، ص 974.

10 القلقشندي، احمد بن عبد الله (ت 821هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1912-1913، ج3، ص 498.

11 المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر احمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2001، ج1، ص 147، 149.

12 المصدر نفسه ، ج1، ص 203.

13 المصدر نفسه ، ج1، ص 312.

وصاحب الخليفة الحاكم بأمر الله عند خروجه لصلاة عيد الفطر عام (395هـ/1008م) وايضاً موكبه في 9 ربيع الأول من السنة نفسها عندما ولد للحاكم بأمر الله، الحارث (ابي الأشبال) فقد كان معه قائد القواد [14].

وروي ان الخليفة الحاكم بأمر الله عند خروجه لاستقبال رسول إمبراطور الروم عام (405هـ/1018م) خرج معه جماعة من الركابية[*15]، والدليل على ذلك انه بلغ الخليفة ان ثلاثة من الركابية اخذوا هبة من الرسول فأمر الخليفة بقتلهم [16]. ولاشك ان هؤلاء الافراد كانوا معدين لحماية شخص الخليفة الفاطمي ، وظهورهم ببزتهم العسكرية يعكس حالة القوة والترف للخلافة امام أعين العامة من الناس.

وكذلك عندما خرج الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله في أول رمضان عام (415هـ/1028م) " اخذ معه العسكر، وخلفه ابن فتوح الكتامي يحمل الرمح وبين يديه الأتراك والكتاميون والقيصرية والعبيد والديلم وسائر الجماعات والطوائف الاخر، وركب رجال الدولة خلفه مع نسيم الصقلبي وكان يوماً حسناً من توافر الناس وكثرة الجمع والزي الحسن " .[17]

وأشارت بعض المصادر التاريخية ان الخليفة المستنصر بالله الفاطمي يأتي على رأس مواكب عيدي الفطر والأضحى، بين حرسه الخاص الذين يحيطون به كالجناحين يليه رجال الدولة وعلى رأسهم الوزير وقاضي القضاة، ويخرج الجيش بطوائفه ويصحب الموكب ضيوف الخليفة من أبناء الملوك والأمراء كما يصحبه طبقات أخرى من رجال الأدب والشعراء والفقهاء.[18]

ولم تقتصر تهيئة العساكر أو الجند مؤسسة الخلافة أي حرسهم الشخصي بل تعدى ذلك إلى حضور العوام من الناس، بدليل عندما استعد الخليفة العزيز بالله للمسير إلى لقاء الروم في بلاد الشام عام (385هـ/ 998م) وقرئ سجل في الأسواق بالنفير فأجتمع من الرعية طوائف الناس بالسلاح للسفر مع العزيز الوفاً كثيرة ؛ وخرج العزيز بسائر العساكر إلى منية الاصبغ في (10 رجب عام 385هـ/ 998) ، فأقام شهراً ثم رجع .[19]

وعندما بويع المستنصر بالله بولاية العهد جرى له احتفال مهيب وخرج الناس في مواكب عامة، وتحشد عامة الناس في موكب كبير تحت المنظرة برؤية موكب ولي العهد [20]. وهكذا نفهم ان هناك تنظيماً عاماً للناس والجند ليظهروا امام موكب الخليفة أو ولي العهد، وهذا الموكب على ما يبدو موكب فرح بتقليد المستنصر ولاية العهد.

وفي ليلة النصف من رجب عام (415هـ/ 1028م) خرج الخليفة الظاهر بموكب كبير حضره السيدات وخدم الخاصة وسائر العوام والرعايا .[21]

ثالثاً: تهيئة اماكن المواكب:

1- مكان جلوس الخليفة:

14() المصدر نفسه، ج1، ص 358، 360.

15(*) ويسمون ايضاً صبيان الركاب الخاص، وهم الذين يحملون السلاح حول الخليفة في المواكب وأصحابها يطلق عليهم بالركابية، وكانت عدتهم تزيد على الفي رجل، وهم اصحاب ركاب الخليفة تندب في الاعمال السلطانية . ابن الطوير ، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن الفهري (ت 517هـ) ، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، القاهرة، 1992، ص 124.

16() المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 392.

17() المصدر نفسه، ج2، ص 29.

18() خسرو، ناصر عليوي، سفر نامة، ترجمة: يحيى الخشاب، ط2، القاهرة، 1993، ص111.

19() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 316.

20() المصدر نفسه، ج2، ص 42، 43.

21() المصدر نفسه، ج2، ص 23.

كان الجلوس العام للخليفة في بداية العصر الفاطمي بالايوان الكبير [22]، الذي هو خزائن السلاح واستمر إلى نهاية خلافة المستعلي (487-495هـ/ 1094-1101م) ، وفي عهد الخليفة الأمر بأحكام الله نُقِل الجلوس إلى قاعة الذهب [23]، التي كان يسكنها الخليفة في القصر.

ومكان جلوس الخليفة هو السرير أو الكرسي، ويعرفهما ابن خلدون بأنهما: "أعواد منصوبة أو ارائك منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعاً عن أهل مجلسه"[24]. وهكذا نفهم سبب مرتفع مجلس الخليفة عن اماكن جلوس المحيطين به وهي ولاشك تفضيل لكون الخليفة هو ظل الله في الأرض؛ لذلك على الرعية طاعته.

السرير:

من خلال متابعتنا النصوص التأريخية، لما يخص السرير وهو مكان مجلس الخليفة أيضاً، فعلى ما يبدو كان الخليفة المهدي أول من جلس على سرير وفيه عرش اثناء استقباله لانصاره في سجلماسة عام (297هـ/ 906م) وهو جالس على سرير امام الفازة (الخيمة الملكية) وفي ذلك يقول جعفر الحاجب الذي كان شاهد عيان لذلك الاستقبال ومعتمداً بلا شك على مراسيم محددة منذ قيام الدولة الفاطمية : " فلما أصبحنا جلس أمير المؤمنين على سرير (أي عرش) وقد جعل له في المضرب ... " .[25]

وفي عام (362هـ/965م) جلس الخليفة المعز لدين الله في قصره على السرير الذهب الذي عمله جوهر في الايوان الجديد .[26]

وعندما بويع الحاكم بأمر الله بالخلافة عام (386هـ/999م) وقد نصب له في القصر سرير من ذهب [27]؛ وجلس الخليفة الأمر بأحكام الله في (9 ذي الحجة عام 516هـ) على سرير المُلك ، وحضر الوزير وأولاده وقاموا بما يجب من السلام .[28]

إلا أن الخليفة الفاطمي يستقبل انصاره احياناً في مظهر متسم بأكثر تواضع، فقد استدعى المعز ذات يوم عدة شيوخ من كتامة " وأمر بإدخالهم من غير الباب الذي جرى الرسم به، فاذا هو في مجلس مربع كبير مفروش باللبود على مطارح وحوله كساء وعليه جبة، وحواليه ابواب مفتحة تفضي إلى خزائن كتب، وبين يديه مرفع ودواة وكتب حواليه".[29]

وهناك اماكن أخرى يجلس عليها الخليفة الفاطمي في مواكبه، ولربما لراحته حسب ما تقتضيه ظروف الخليفة، ففي عام (362هـ) وصل الخليفة المعز إلى الإسكندرية وكان جالساً في قبة محلاة على جُماز (ناقة)[**30] ، لان الحرَّكان شديداً وكان صائماً [31]؛ كما جلس الخليفة المعز على صهوة جواده عند لقائه الاشراف والقواد والعمال والكتّاب بنية الحج .[32]

---

22) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 205.

23) المصدر نفسه، ص 206.

24) عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ)، المقدمة، ط1، مطبعة المثنى، (بغداد، لا.ت)، ص 260.

25) محمد بن محمد اليماني (القرن 4 هـ)، سيرة جعفر الحاجب وخروج المهدي من سلمية إلى سجلماسة، تحقيق: ايفانوف، مجلة كلية الاداب، الجامعة المصرية، ع4، 1936، ص 317-318.

26) المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 204.

27) المصدر نفسه، ج1، ص 325.

28) ابن المأمون، جمال الدين ابو علي موسى ابن البطائحي (ت 558هـ)، المنتقى من اخبار مصر، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية، 1983، ص 41.

29) ابن سعيد المغربي، ابو الحسن نور الدين علي بن محمد الغرناطي (ت 685هـ)، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة وهو جزء من كتاب المغرب في حلي المغرب، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، 1970، ص 39.

(**)30 الجمز ضرب من سير الابل ثم صار صفة للنوق، ينظر: الجاحظ، ابو عثمان عمرو (ت 255هـ)، الحيوان، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط2، القاهرة، 1969، ج1، ص 83.

31) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 202.

32) المصدر نفسه، ج1، ص 263.

ونُصب للخليفة العزيز بالله عام (384هـ) مضرب ديباج وفازة مثقل وقبة مثقل بالجوهر، وضرب لابنه منصور مضرب آخر، وعرضت العساكر واحضرت له اسرى الروم[33]، وكان يوضع على رأس الخليفة المظلة فقد اتخذها الخليفة العزيز بالله عندما جلس عند المُصَلّى وعلى رأسه مظلة عام (383هـ) ، ويُعد الخليفة العزيز بالله أول من اتخذ (الذؤابة)[34***] الطويلة والحنك .[35]

وفي عام (403هـ/1016م) ظهر الخليفة الحاكم بأمر الله بموكب عيد الفطر وعليه مظلة بيضاء بغير ذهب، وعليه بياض بغير طُرز ولا ذهب ولا جوهر في عمامته .[36]

وروى ابن الطوير ان خلفاء العصر الفاطمي الأخير كانوا يجلسون في المناظر وقاضي القضاة والشهود في الخيمة الدبيقي في مواكبهم لفتح الخليج .[37]

رابعاً: اماكن جلوس الافراد في المواكب:

نستطيع ان نستخلص من بعض النصوص الواردة في البعض من مصادرنا التأريخية على طبيعة تهيئة اماكن العامة في المواكب العامة والخاصة، ففي شهر ربيع الاخر عام (363هـ/969م) دخل الناس إلى قصر الخليفة المعز لدين الله وفيهم الاشراف والعمال والقواد ومن اهل كتامة، فلما جلس المعز واذن للناس بالجلوس وقال : " يامعشر الاهل وبني العم من ولد فاطمة أنتم الاهل وانتم العدة وما نرضى بما بلغنا من القول ... " .[38]

ونستشف من ذلك ان هناك اماكن مخصصة لجلوس العامة داخل قصر الخلافة ففي آخر يوم من رمضان عام (380هـ/993م) نُصبت مصاطب ما بين القصور والمُصّلى ظاهر باب النصر عليها المؤذنون حتى يصل التكبير من المصلى إلى القصر، وفيه تقدم القاضي محمد بن النعمان بأحضار المتفقهة وامرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب ولم يزل يرتب الناس وكتب رقاعاً فيها اسماء الناس فكانت تخرج رقعة رقعة فيجلس الناس على مصطبة مصطبة بالترتيب .[39]

وفي عام (386هـ) وبعد تسلم الحاكم بأمر الله الخلافة خرج من قصره ووقف الناس بصحن الايوان وقبلوا الأرض ومشوا بين يديه، حتى جلس على السرير فوقف من مهمته الوقوف وجلس من له عادة الجلوس .[40]

خامساً: تزيين اماكن المواكب:

من مظاهر التحضيرات للمواكب ما يتعلق باستخدام الزينة وما يرتبط بها، وهي تعكس مظاهر الابهة والترف والثراء كما تعكس مدى التطور الحضاري والمادي للدولة .

وقد أظهر الخلفاء الفاطميون تلك المظاهر في المواكب العامة والخاصة، فعند وصول الخليفة المعز لدين الله القاهرة دون ان يمر بطريقه إلى الفسطاط التي تهيأت لاستقباله بالزينات ، واتجه إلى القصر الشرقي الكبير الذي بناه جوهر " والقصر يومئذ مشتمل على ما فيه من عين وجوهر وفرش واوان ثياب واسفاط ... " .[41]

وتشير بعض المصادر انه في النصف من رجب عام (380هـ) عند خروج موكب الخليفة العزيز بالله إلى جامع القاهرة، وزيد في الوقيد على حافات الجامع، وحول صحنه التنانير والقناديل، والشمع على

33() المصدر نفسه ، ج1، ص 312، 313.

34(***) العذبة: وهم الذين يدورون عمائمهم على احناكهم كما تفعل العرب والمغاربة. القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 433.

35() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 321.

36() المصدر نفسه، ج1، ص 385.

37() نزهة المقتلين، ص 202.

38() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 211-212.

39() المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، لا.ت، ج2، ص 367.

40() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 339.

41() المصدر نفسه،ج1، ص 203-204.

الرسم في كل سنة [42]؛ ودليل اخر ما فعله الخليفة العزيز بالله عند استقبال عساكره عام (384هـ) عندما اظهر ترفاً وزينة، فزينت القاهرة ومصر أحسن زينة، وفي النصف من ربيع الاخر عام (387هـ) ركب الخليفة الحاكم بأمر الله " وشق مدينة مصر بعدما زينت له الأسواق زينة عظيمة ... فدخل الصناعة" [43]، وعندما وُلِد للخليفة الحاكم ولد عام (395هـ) زُينت البلد أربعة أيام [44]؛ غير انه في عام (402هـ/ 1015م) أمرَ الخليفة الحاكم قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي بقطع الرسم الجاري والذي يُقام في هذه الأشهر الثلاث وفي جامع القاهرة في ليالي الجمع والانصاف .[45]

اما في خلافة الظاهر لاعزاز دين الله فقد ارجع ذلك الرسم والاحتفال ففي النصف من رجب عام (415هـ) حضر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ومعه السيدات وخدم الخاصة وسائر العامة، وجلس الخليفة في المنظرة، واوقدت المساجد كلها أحسن وقيد، وكان مشهداً عظيماً [46]؛ وفي عام (439هـ/1046م) وُلِد للخليفة المستنصر بالله ولد فأمر الناس بإقامة الافراح فزينت المدينة والاسواق زينة حتى قال عنها ناصر خسرو : " لو وصفنا لما اعتقد بعض الناس صحة ما أقول ، ولما صدقوني فقد كانت دكاكين البزازين والصرافين وغيرهم مملؤة بالذهب والجواهر، والنقد والامتعة المختلفة، والملابس المذهبة والمقصبة، بحيث لايوجد فيها متسع لمن يريد ان يجلس " . [47]

وعند خروج الخليفة المستنصر بالله في مواكبه العظام، كان تجار مصر يزينون الطرق التي يمر منها موكبه بأشياء من تجارتهم لطلب البركة من نظرته.[48]

وشهد موكب الخليفة الأمر بأحكام الله أول العام عام (517هـ/1123م) الكثير من الزينة، فقد خرج " جميع التجار من الجوهريين والصاغة والبزازين قد زينو الطرق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة وخرج من باب الفتوح، والعساكر فارسها وراجلها بثقلها وابواب حارات العبيد معلقة بالستور[49]؛ وعندما وُلِد للخليفة الأمر ولد عام (524هـ/1130م) " زُينت مصر والقاهرة وعملت الملاهي في الأسواق وبأبواب القصور، ولُبِست العساكر، وزُينت القصور، واخرج الآمر من خزائنه وذخائره قماشاً واواني ذهب وفضة فزُين بها وعُلِّقَ الايوان جميعها بالستور والسلاح ، فأقام الحال على ذلك أربعة عشر يوماً.[50]

سادساً: أعداد مراكب المواكب:

أولى الخلفاء الفاطميون اهتماماً بمراكب المواكب سواء اكانت نهرية منها ام ما يتعلق بتحضير دواب المواكب.

1- مواكب المراكب النهرية:

---

42) المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 392.

43) ابن ميسر، اخبار مصر، ص 180؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 329.

44) المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص358.

45) المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 393.

46) المصدر نفسه.

47) سفرنامة ، ص 121.

48) المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 446.

49) ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 58.

50) ابن ميسر، اخبار مصر، ص 109.

من بين الشواهد على اهتمام الخلفاء الفاطميين بالمراكب النهرية والبحرية، ما عمله الخليفة العزيز بالله عند استقباله لأسطوله المنتصر ومعهم اسرى الروم وذلك عام (384هـ/997م) ، فركب الخليفة ومعه ابنه المنصور في (عشاري)(****51) ومعه باقي العشاريات سائرة إلى المقس .[52]

ولاشك ان ابحار تلك السفينة في المراكب العامة والخاصة يكون له وقعة في نفوس العامة كونها تعكس مظهراً من مظاهر القوة والهيبة للخلافة وتعزيز ثقة الناس بالفاطميين.

وفي عام (415هـ/1028م) جُهز موكب الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله لفتح الخليج واستعرض امامه العشاريات مزينة ولعبت وهو واقف في الجانب الشرقي للسد وكان من الأيام المشهودة [53]؛ ويذكر المقريزي ان الخليفة الظاهر اصطحب أربع عشاريات في موكبه المتجه إلى سجن يوسف، ومرة أخرى يذكر ان الخليفة الظاهر ركب في عشارية ومضى إلى بستان السيدة ست الملك للتنزه، " ولم تزل العشاريات تلعب في البحر بالليل كله والمسرة متصلة بينهم" .[54]

وكانت نساء الخلفاء وامهاتهم يمتلكون مراكب نهرية، فعندما تولى أبو سعد التستري عام (436هـ/1043م) وكان من المقربين لوالدة الخليفة المستنصر، فاستعمل لها عشارياً يُعرف بـ (الفضي) وحُليَّ رواقه بفضة قُدِرت بمئة والف وثلاثون الف درهم، وستة وثلاثين عشارياً برسم النُزه البحرية .[55]

واستخدم الخلفاء الفاطميون أنواع من العشاريات وبالوان مختلفة وكانوا يضيفون عليها الزينة ولاسيما في أيام وفاء النيل وكسر الخليج فيروى انه " عندما اعتدل الماء في الخليج دخلت العشاريات اللطاف ويقال لها (السّماريات) [56] الخاص وكأنها خدم بين يدي العُشاري الذهبي ثم العشاريات الخاص الكبار " [57]؛ واورد المسبحي ان العشاريات كانت تستخدم مع المراكب الحربية حيث أرسلت عام (415هـ) لحفظ الحصون الشامية ، وكذلك في النزهة، فقد ركب الخليفة الظاهر العشاريات إلى متنزه المعشوق عند رأس الخليج .[58]

وكان الخليفة الآمر يستعمل العشاري عند خروج موكبه لتخليق المقياس " ركب البحر في العشاري الفضي " [59]، وعند خروجه للنزهة إلى الهودج عام (524هـ/1130م) قُتِل وهو في طريقه إلى هناك فحُمِل في العشاري إلى قصر اللؤلؤة.[60]

واهتم الخلفاء الفاطميون بأنشاء مراكز لصناعة السفن فكانت سابقاً بالصناعة التي بالجزيرة، وفي عهد الخليفة الآمر أمر وزيره المأمون بأن يكون انشاء الشواني وغيرها من المراكب النيلة الديوانية بالصناعة بمصر وان يكون ما ينشأ من الشلنديات في الصناعة بالجزيرة [61]؛ ويشير القلقشندي: " وعمارة المراكب متواصلة بالصناعة لاتنقطع " .[62]

51(****) عشاري: نوع من السفن يستعمل في البحر الأبيض المتوسط وفي البحر الاحمر والنيل والمستخدم منه نوع من القوارب الصغيرة تلحق بالمراكب الكبيرة. النخيلي، درويش، السفن الاسلامية على حروف المعجم، القاهرة، 1974، ص 95-101.

52() المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 312.

53() المصدر نفسه، ج2، ص 22.

54() المصدر نفسه، ج2، ص 20.

55() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 416.

56() سُماريات وسميريات مفردها سُميرية وسمارية، نوع من العشاريات الصغار النخيلي، السفن الإسلامية، ص 69-70.

57() ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص 201.

58() فخر الدين محمد بن عبيد الله (ت 420هـ)، اخبار مصر، القاهرة، 1980، ص 11، 23، 43، 46، 95.

59() ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 71-72.

60() المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج2، ص 429.

61() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 423.

62() صبح الاعشى، ج3، ص 519.

2- دواب المواكب:

اهتمت الدولة الفاطمية بالدواب كونها وسائط النقل البرية الرئيسية وقتذاك، وفي طليعة تلك الدواب المستخدمة أيضاً في مواكب الخلفاء الخاصة والعامة هي الخيول، فكان الخليفة الفاطمي الثاني القائم بأمر الله يمتطي صهوة جواده في مواكبه ومنذ ان كان ولياً للعهد .[63]

ولما سار الخليفة بعد صلاة عيد الفطر ركب الخيل في موكبه واتجه إلى القصر [64]؛ وحرص الخلفاء الفاطميون على تزويد جيوشهم الذاهبة للقتال بالخيول، فعندما جهز الخليفة العزيز بالله جيشاً إلى بلاد الشام في جمادي الأولى عام (385هـ/ 995م) أخرج للكتاميين أربعة الاف فرس، وأمران تُشترى لهم الف أخرى [65]، واستخدم الخليفة الحاكم بأمر الله الخيل في مواكبه فيذكر انه ركب في عيد الفطر في عشرة افراس جياد بين يديه .[66]

وفي يوم وفاة الأفضل عام (515هـ/1121م) خرج الناس رجالى خلف التابوت، وليس وراءهم راكب الا الخليفة الآمر بأحكام الله على فرس وركب صاحب ديوان الانشاء ابا الحسن بن ابي اسامة حماراً .[67]

إلى جانب الخيول استخدم الخلفاء الفاطميون الحمير في تنقلاتهم بين القصرين في مدينة القاهرة وفي الأسواق، فيذكر ان الخليفة الحاكم امر بشراء الحمير وصار يركبها من تحت السرداب إلى باب البُستان فكان يركب حماراً يدعي (القمر) [68]؛ غير انه نوَّع من الدواب فكان يكثر الركوب في اليوم الواحد، فيروي انه ركب ست مرات، مرة على فرسٍ واخرى على حمارٍ[69]؛ ويبدو ان الخلفاء الفاطميين استعملوا الحمير والبغال للضرورة وذلك لجوازهم من السراديب القصيرة والطلوع إلى أعلى المناظر .[70]

ومن جملة أنواع الركوب في المواكب الرسمية وغير الرسمية كانت الجمال والبغال، فعند خروج الخليفة العزيز بالله في موكب صيد إلى الجيزة لصيد السباع فعاد وهو بين يديه على بغلٍ [71]؛ كما أكثر الخليفة الظاهر من البغال فعند خروجه في موكبه ومعه خاصته وحرمة اخذ معه أربعة عشر بغلاً من بغال النقل .[72]

وبالنسبة للجمال فكانت اداة للمواصلات البعيدة والتنقل، فعندما خرج الخليفة العزيز بموكبٍ عسكري إلى منية الاصبغ عام (385هـ) أُحصيت الجمال المحملة للخليفة ولخاصته فكانت ثلاثين الفاً ، سوى ما هو مع وجوه الدولة، وحملت الخزانة السائرة على عشرين جملاً. وعلى الرغم من المبالغة في تقدير الأرقام إلا اننا نتصور ان اغلب مواكب الخلفاء وقادتهم العسكرية كانت تعتمد على الجمال لكونها تتحمل قساوة الطريق ؛ كما استخدمت في جنازة الخليفة العزيز بالله فقد حُمِل في قبةٍ على ناقة .[73]

ومن أنواع الدواب الأخرى التي استخدمها الخلفاء الفاطميون في مواكبهم للزينة الفيل والزرافة، فعندما فرغ الخليفة المعز لدين الله من خطبته بمناسبة وصوله إلى القاهرة عام (362هـ) انصرف في عساكره

---

63) ابن حماد الصنهاجي، ابو عبد الله بن محمد بن علي (ت 628هـ)، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: فوندرهادن، الجزائر، 1346هـ، ص 29.

64) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 206.

65) ابن ميسر، اخبار مصر، ص 117-118.

66) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 385.

67) ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 167.

68) ابن سعيد، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص 59.

69) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 394.

70) القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 518.

71) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 309.

72) المصدر نفسه، ج2، ص 19.

73) المصدر نفسه، ج1، ص 325.

وخلفه اولاده وساروا بين يديه بالفيلين [74]؛ وروى ان الخليفة الحاكم بأمر الله عند خروجه بموكب في عيد الفطر سار بين يديه ست فيلة وخمس زرافات .[75]

سابعاً: اعداد ملابس المواكب:

لابد من التمييز بين ازياء الخلفاء والوزراء وازياء العامة من الناس ، ولاشك ان الملابس تختلف بين فئة اجتماعية دون أخرى؛ ويبدو ان الازياء الرسمية للخلفاء الفاطميين أو رجالات دولتهم كان في بادئ الأمر بسيطاً، لكن سرعان ما تطور تطوراً كبيراً ومادة الملابس ، وهناك أنواع لكل مناسبة من المناسبات تلبس في المواكب .[76]

ولعل ابرز دليل على بساطة ملابس الخلفاء الفاطميين الأوائل هو ان الخليفة المعز لدين الله استقبل انصاره من شيوخ كتامة " فاذا هو جالس في مجلس وحوله كساء، وعليه جبة...".[77]

وكان الخليفة الفاطمي يرتدي داخل القصر ملابس بسيطة تختلف عن تلك التي يظهر بها في المواكب تعرف بالملابس الدارية [78]، وتتميز بقصر اكمامها وقلة اتساعها [79] وكان يكتفي بلبس الثوب والعمامة [80]؛ فكان الخليفة العزيز بالله يتخفف من معظم ملابسه داخل القصر ويكتفي بارتداء (الخفتان) .[81]

كما يشترط احترام حضرة الخليفة بأتخاذ اللون الأبيض شعار دولتهم والغوا اللون الأسود شعار الدولة العباسية من جميع مظاهر الحياة الرسمية [82]؛ فقد اصدر جوهر الصقلي بعد تسلمه مقاليد الأمور في مصر أوامره بأن يلبس الخطباء البياض اعلاناً عن قيام الدولة الفاطمية [83] " وازالوا من مصر السواد " [84]، ويروى انه في عام (362هـ/ 972م) دخل عبد الله بن طاهر الحسيني على جوهر في مجلس وبرفقته القضاة والعلماء وكان يرتدي (طيلساناً)[85] كحلياً فأستاء جوهر ومدَّيده فشق الطيلسان، فغضب ابن طاهر وتكلم محتجاً، فأمر جوهر غلمانه بأحضار عمامة خضراء ورداء اخضر وقام بنفسه والبس ابن طاهر وعمه.[86]

وكان اللون الأخضر من الألوان المحببة لدى الفاطميين وبهذا الصدد يذكر ان الخليفة المعز عندما حضر إلى مصر ظهر امام الناس وقد ارتدى الحرير الأخضر .([87])

74() المصدر نفسه، ج1، ص 206.

75() المصدر نفسه، ج1، ص 360.

76() ماجد ، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة، 1963، ص 119.

77() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 172؛ وينظر: الدشراوي، فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ترجمة : حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ص 429.

78() المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 413.

79() القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 518.

80() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 144.

81() الخفتان او القفطان، ثوب يشبه الجبة مفتوحة من الامام ومزين بأزرار حول الصدر بأكمام قصيرة تمتد حتى الكوع. سلطان، عبد المنعم حميد، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، دار الثقافة العلمية، لا. مك ، ص 293.

82() القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 271.

83() السيوطي، عبد الرحمن بن ابي جلال (ت 911هـ)، تاريخ الخلفاء، القاهرة، 1952، ص 402.

84() المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 119.

85() ثوب يلبس على الكتف وخالياً من التفصيل، وذكر ابن جبير ان الطيلسان يسمى في المغرب الإحرام . محمد بن احمد الاندلسي (ت 614هـ)، رحلة ابن جبير، بيروت، 1964، ص 24-25.

86() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 201.

87() ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن (ت 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق: محمد حسين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، 1992، ج4، ص 74.

وجدير بالذكر ان اللون الأسود لم يكن منبوذاً تماماً لدى الفاطميين، بل كان الخلفاء يستعملونه في ملابسهم وفرشهم، فقد عرف عن الخليفة الحاكم بامر الله لبس الملابس السوداء ففي موكب الحاكم لتولية ابنه ابي القاسم عبد الرحيم ولاية العهد عام 404هـ ، كان ولي العهد يركب مراكب الخلافة المرصعة، والحاكم يركب حماراً ولابس ثياب بيض ثم سود ، فقد عثر على نسيج من الكتان الأسود موجود في متحف الفن الإسلامي يزينه شريطان من الكتابة الكوفية ومسجل عليها اسم الخليفة الحاكم بأمر الله [88]؛ كما يروي المقريزي ان الخليفة الظاهر كان يرتدي في مواكبه عمامة شرب وثوب دبيقي وكلاهما مدير بسوادٍ .[89]

وعندما دخل طلائع بن رزيك إلى القاهرة عام (549هـ/1155م) عقب مقتل الخليفة الظافر وطاف بعساكره وهو لابس ثياباً سوداء، واعلامه وبنوده سود حزناً على الظافر .[90]

ولاهمية ملابس الخلفاء في المواكب العامة والخاصة التي يظهر بها لابد من القاء الضوء على تلك الملابس ليتسنى لنا نقل صورة واضحة من الماضي جوانب من المواكب العامة والخاصة.

اولاً: لباس الرأس:

أ- التاج:

من أهم شارات الملك عند الفاطميين والذي يرجع تأريخ استعماله في افريقية إلى الخليفة المعز لدين الله وهو عبارة عن إكليل مرصع بالحجارة الكريمة ومركب من شريط دائري تعلوه ثلاث ورقات في شكل مثلث. ومما يدلل على وجوده رخامة منحوتة اكتشفت في المهدية، يختلف عن تيجان ملوك النصارى، ويُعتبر التاج شعاراً مهماً لما يحظى به الخليفة من مجدٍ عظيم .[91]

ولم يكن التاج الفاطمي تاجاً بمعنى الكلمة بل كان عمامة ضخمة يلفها بشدة مفردة ذات شكل منفوخ ذي استطالة يزينها في وسطها الجوهرة المعروفة بـ(اليتيمة) ؛ غير ان المقريزي يشير إلى استخدام كلمة التاج فيذكر انه في عام (382هـ/992م) خرج الخليفة العزيز بالله في موكبٍ لفتح الخليج وعليه " تاج مرصعٌ بالجوهر " .[92]

وعندما يخرج الخليفة الفاطمي في اول العام ويصلي الظهر ثم يجلس لعرض ما يلبسه الخاصة، ويسلم لشاد التاج الشريف ويقال لها (شدة الوقار)، " فيركب وزيه هذه الايام الثياب المذهبة والمنديل وهو مشدود بشدة مفردة عن شدات الناس ... " .[93]

لم يكن التاج الذي يرتديه خلفاء العصر الفاطمي الأول بهذا الشكل، فالمسبحي يحدثنا عن استخدام الخليفة لعدد من العمائم المختلفة الانواع [94]؛ ويذكر خسرو اثناء حديثه عن موكب الخليفة في احتفاله بفتح الخليج عن استخدام الخليفة للعمامة [95]؛ ويذكر ان الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، عند فتحه للخليج ، كان متوجاً بمنديل والمظلة منثورة عليه وهو جالس فوق دكة الوقار .[96]

وكان وزراء العصر الفاطمي الأول يرتدون المناديل الطبقيات بالاحناك تحت حلوقهم.[97]

88() الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص 306؛ وينظر: زكي، سيد محمد خليفة، دليل متحف الفن الاسلامي، القاهرة، 1952، ص 137.

89() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 137.

90() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 149-150.

91() ابن الزبير، رشيد الدين ابو الحسن احمد بن لعي الاسواني (ت 563هـ)، الذخائر والتحف، الكويت، 1979، ص 193؛ ابن حماد، اخبار ملوك بني عبيد، ص 457-458.

92() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 308.

93() ابن الطوير، نزهة المقتلين، ص 107.

94() اخبار مصر في سنتين، ص 147.

95() سفرنامة ، ص 96.

96() ابو صالح الارمني (ت 605هـ)، تاريخ كنائس واديرة مصر، اكسفورد، 1894، ص32.

97() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 345.

اما ابن المأمون فيذكر ان شدة الوقار هي المنديل التي ينفرد الخليفة بلباسها في الاعياد والمواسم خاصة لا على الدوام، وكانت ترصع بغالي الياقوت والزمرد والجوهر، وعند لباسها يتجنب الكلام ويهاب .[98]

ب- العمامة:

وهي اسم لما يُعقد على الرأي ويلوي من صوفٍ أو قطنٍ أو كتانٍ ، سواء اكانت تحت قلنسوة أو لم تكن .[99]

وقد اتخذ الخلفاء الفاطميون لكل مناسبة عمامة فيذكر ان الخليفة الحاكم بأمر الله ارتدى عمامة عليها الجوهر عند خروجه بموكبٍ بمناسبة توليه الخلافة عام 386هـ [100]؛ واحياناً يرتديها بغير جوهر كما حصل عام (403هـ/ 1016م) عند خروجه بموكبه في عيد الفطر إلى المصلى .[101]

اما الخليفة الظاهر فكان يلبس نوعاً اخر من العمامة عند خروجه بموكبٍ للنزهة، عبارة عن عمامة شرب بنكي (وهو اللون الوردي الخفيف) مذهب [102]؛ وقد بلغت قيمة العمامة التي صُنِعت للخليفة المستنصر بالله أربعة الاف دينار غير ما تحويه من الجواهر[103]، وسميت عمامة الخليفة الفاطمي بمسميات عدة ومنها: شدة الوقار أو التاج الشريف [104]؛ كما وضع الخليفة الفاطمي على رأسه احياناً (الكلوته) وكانت على درجة عالية من الصنعة والقيمة فيذكر ان كلوتة الخليفة المستنصر بالله فيها وزن سبعة عشر رطلاً .[105]

اما في المواكب المختصرة، فكان الخليفة الفاطمي يرتدي على رأسه عمامة قد أرخى نهايتها وتركها تتدلى من جانبها الايسر .[106]

ج- الطيلسان:

وهو عبارة عن ثوب خارجي خالٍ من التفصيل والخياطة منه المربع والمثلث والمدور الشكل [107]، يجعل على الرأس فوق العمامة ويدار طرفان منه إلى الحنك إلى ان يحيط بالرقبة ثم يلقيان على الكتفين، وكان الخليفة الفاطمي يرتدي الطيلسان (المقور) [108] الشعري بالجمع الثلاث من شهر رمضان [109]، وكان هذا النوع من الطيالس من خلع الوزراء في العصر الفاطمي ويعرفه المقريزي بقوله : " الطيلسان المقور الذي يسمى طرحة " .[110]

98() نصوص من اخبار مصر، ص 41، 75.

99() ابن سيدة ، ابو الحسن علي بن إسماعيل الاندلسي (ت 458هـ)، المخصص، القاهرة، 1316هـ)، ج4، ص 284 (مادة عمم).

100() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 325.

101() المصدر نفسه.

102() المصدر نفسه، ج2، ص 10، 12.

103() ناصر خسرو، سفرنامة، ص 38.

104() القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 32.

105() ماجد ، عبد المنعم، الامام المستنصر بالله الفاطمي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1960، ص42.

106() المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 484.

107() تكون صغيرة تستر العورة ومفردها سروال. ابن سيدة ، المخصص، ج3، ص 72.

108() يكون فيه الحكم من مدخل اليد إلى مخرجها. المصدر نفسه، ج4، ص 38.

109() ماجد، عبد المنعم ، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، القاهرة، 1953، ج2، ص52.

110() ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 41.

وارتدى وزراء العصر الفاطمي الثاني الطيلسان المقوّر (الطرحة) لان الوزير أصبح يجمع بين وظيفتي الوزارة والقضاء [111]، كما ارتدى بعض رجال الدولة الطيلسان مع الخلفاء والوزراء ومنهم المشرف على مقياس النيل عند الاحتفال بفتح الخليج تشريفاً له .[112]

كما لبس الخلفاء (الدراعة) [113]، فيروى ان الخليفة الحاكم بأمر الله لبس في موكب بيعته للخلافة عام (386هـ/996م) وتشييع ابيه العزيز بالله دراعة مصمتة وكانت من الصوف.[114]

ثانياً: ملابس البدن:

ومن أنواع لباس البدن الداخلي: السراويل [115]، والقميص [116]؛ فكان الخليفة الفاطمي يرتدي في المواكب العظام ثوب حريري مزين بالرسوم المذهبة مفصل على قدر جسده، يليه ثوب آخر من الحرير الديبقي وسطاني وبعدها قميص حرير بالإضافة إلى سروال (حجرة) له حزام مطرز بالذهب .[117]

اما رداءه في عيد الأضحى فيغلب عليه اللون الأحمر والعلم والجوهر في وجهه [118]، ويصدق الحال على موكبه للصيد فكان يرتدي اللون الأحمر تعبيراً عن ما في الصيد من قنص وذبح للحيوانات .[119]

ولم تكن ملابس الخلفاء لايمكن تغييرها، فالخليفة الحاكم بأمر الله كان زاهداً في مظاهر الحياة، فلبس الصوف على ظاهر جسده رغم خشونته، ففي موكبه لعيد الفطر عام (395هـ/1005م) لم يرتدي الملابس التي اعتاد الخلفاء ارتدائها بل اكتفى بثوب من اللون الاصفر [120]؛ وفي موكبه لفتح الخليج ارتدى (البدنة) [121] وهو من ذهب وحرير والمظلة من شكله وهو خاص بهذه المناسبة، وعند عودته لبس غير البدنة والمظلة مناسبة لثيابه؛ وذكر ابن المأمون ان الخليفة الامر بأحكام الله كان يلبس بدلة جميعها حريري برسم العَوْد .[122]

ثالثاً: لباس القدم:

لم تورد مصادرنا التأريخية معلومات مسهبة عن ملابس الارجل، ومما جاء شحيحاً عن لباس القدم أو (الخف) الذي يُعد زياً رسمياً تم ارتداؤه من قبل جميع الفئات الاجتماعية، ويُعد الخليفة العزيز بالله الفاطمي أول من لبس الخُفين والمنطقة [123]، فذكر المقريزي ان الخليفة العزيز بالله خرج في موكب صلاة الجمعة عام (381هـ/991م) وفي رجله الحذاء[124] ؛ وهذا يعني ان الخلفاء كانوا يرتدون الحذاء المكشوف الذي يحفظ في الرجل بواسطة زمام بين الاصبع الوسط والتي تليها.

---

111) ابن الطوير ، نزهة المقلتين، ص 193؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 515.

112) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 360.

113) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 198؛ القلقشندي، صبح الاعشى ، ج3، ص 515.

114) اخبار مصر ، ص 55.

115) الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، مطبعة المدني، القاهرة، 1968، ج2، ص 342.

116) نوع من الطيالس كانت تخيط وتعمل بها فتحة تسع الرقبة وتسدل على الاكتاف والمقصود بالقواره ماقورت من الثوب أي قطعت بقصد التفصيل. ابن سيدة، المخصص، ج4، ص 68، 79، 87.

117) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 172؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 506.

118) ابن حجر، القاضي شهاب الدين احمد بن علي (ت 852هـ)، رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق: عبد الحليم عويس، القاهرة، 1984، ص 132.

119) المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 347.

120) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 360.

121) نوع من الجبب يتكون من الصوف بصورة خاصة وهو من البسة الخلافة. ابن سيدة ، المخصص، ج4، ص 36.

122) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 325.

123) ابن ميسر، اخبار مصر، ص 176.

124) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 305.

وكانت صناعة الحذاء (النعال) من الصناعات المنتشرة في مصر في العصر الفاطمي حيث انتشرت حوانيت الاساكفة في الأسواق [125]، وبهذا الصدد يذكر ان الخليفة الحاكم بأمر الله عندما خرج في موكبه إلى الصحراء كان يرتدي "حذاء عربي بقبالين " [126]، وكما ارتدى القضاة الخُف فيروى ان قاضي القضاة مالك بن سعيد عندما قُتِل عام (405هـ/1018م) ومرَّ به الحاكم بأمر الله فأمر بلفه بثيابه وخُفيه .[127]

المبحث الثاني: أنواع المواكب في العصر الفاطمي

أولاً: المواكب السياسية أو مواكب بيعة الخلفاء:

تُعد هذه المواكب من المواكب الرسمية للخلافة الفاطمية، فقد كان يحضرها الخليفة نفسه أو من ينوب عنه، وبحضور رجالات الدولة من القادة العسكريين وحاشية الخليفة.

في السابع من ذي الحجة عام (296هـ/ 909م) وبعد أنتصار أبو عبد الله الشيعي على اليسع بن مدرار في سجلماسة وانقاذ المهدي وولده من حبس اليسع قال ابن عذاري : "ان المهدي والقائم كانا محبوسين في غرفة عند مريم بنت مدرار " [128] ، وقام أبو عبد الله الشيعي بأخذ البيعة الخاصة للمهدي فكان الناس في سرورٍ وفرحةٍ ، وحفَّ الناس بهما والدعاة يمشون حولهما، وابو عبد الله يمشي بين يدي المهدي ويقول: " هذا مولاي ومولاكم ايها المؤمنون، ويحمد الله ويشكره ويبكي من شدة الفرح ... " [129]؛ وفي رقادة كانت البيعة الخاصة للمهدي عام (297هـ/ 910م) فبعد وصوله تلقاه اهلها واهل القيروان وسار الموكب وبين يديه الداعي أبو عبد الله الشيعي ورؤوساء كتامة واوقف أبو عبد الله الشيعي الدعاة على انه الامام الذي دعا اليه وعرّف جميع الناس به [130]، وقال: " هذا مولاي ومولاكم وولي امركم وامام دهركم ومهديكم ... " [131] وبايعه عدد اخر من الناس على الطاعة وسلموا له بالخلافة .[132]

وفي عام (341هـ/954) بويع الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وبعد ان تمت البيعة الخاصة خرج إلى المبايعين ليأخذ البيعة العامة فجلس الناس واذن لهم بالدخول وسلموا عليه بالخلافة .[133]

وعندما توفي المعز لدين الله كتم موته إلى عيد النحر وخرج ابنه العزيز بالله بموكبٍ لاخذ البيعة بالخلافة والناس تبايعه بيعة عامة وتسلم عليه بالخلافة وذلك في عام (365هـ/978م) وبعدها رجع إلى مقره وبايعه اهل بيته من اعمامه واقربائه .[134]

وفي (18 رمضان عام 386هـ/999م) بايع الجند والناس الحاكم بأمر الله بعد ان جمع الوزير الحسن بن عمار بن علي الكلبي شيوخ كتامة بعد ان تخلفوا عن الحضور " فخرج اليهم في طائفة من شيوخهم " [135]، وكذلك جمع اهل الرأي من القادة والامراء والعامة لاعطاء البيعة للحاكم، ولاسيما بعد وفاة العزيز

125() سلطان ، الحياة الاجتماعية في مصر، ص 305.

126() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 386؛ وينظر: عنان، محمد عبد الله، الحاكم بأمر الله، القاهرة، 1959، ص 67.

127() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 391.

128() ابن عذاري، ابو عبد الله محمد المراكشي (ت 647هـ)، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: ج.س.كولان وليفي بروفنسال، بيروت، لا.ت، ج1، ص153.

129() القاضي النعمان ، ابو حنيفة ابي عبد الله محمد بن منصور بن حيون المغربي الفاطمي (ت 363هـ)، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، تونس، 1975، ص 239-240.

130() المصدر نفسه،ص 249؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص 156؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي كرم (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ ، راجعه: محمد يوسف الدقاق، بيروت، 1987، ج6، ص 133؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 66.

131() القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص 245.

132() ابن الاثير، الكامل، ج8، ص 49؛ ابو الفداء الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت 732هـ)، المختصر في اخبار البشر، بيروت، لا.ت، ج1، ص 391.

133() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 170.

134() المصدر نفسه ، ج1، ص 283.

135() المصدر نفسه، ج1، ص 325.

بالله فكان موكب عزاء وفي الوقت نفسه موكب مبايعين لابن العزيز وهو أبو علي منصور الحاكم بأمر الله [136].

وفي عيد الأضحى عام (411هـ/1024م) بويع الظاهر في موكبٍ من الخاصة بعد مقتل الحاكم، وكان ممن حضر موكب البيعة الأمراء والوزراء والقادة وسائر طبقات العسكر[137]؛ اما موكب المبايعين من العامة فقد كان في القاهرة وسط موكبٍ مهيب، إذ استقبله عامة الناس على جانبي الشوارع والظاهر يسلم عليهم يميناً وشمالاً وبعدها فتحت ابواب القصر ودخل عامة الناس والظاهر واقفاً لهم فتهافت لبيعته عامة الناس .[138]

وعندما قرر الخليفة الظاهر اعطاء البيعة لابنه المستنصر الذي كان عمره ثمانية أشهر وقد حضر كتابة العهد من الخاصة من رجالات الدولة وامرائها، فضلاً عن موكب العامة وذلك عام (421هـ/1034م) ، فخلع على كافة اهل الدولة وعمل من الطعام ماكفى اهل القاهرة ومصر والطارئين من البلاد، واجتمعت العامة تحت المنظرة من القصر واستغاثوا ان يشرفوا برؤية الخليفة فأشرف عليهم الظاهر من المنظرة، فقبلوا الأرض وانصرفوا .[139]

وتنقل لنا البعض من المصادر التاريخية صوراً أخرى عن كرم وسخاء الخليفة الظاهر لموكب المبايعين لابنه المستنصر فعندما خرج ولي العهد المستنصر بالله بن الظاهر في موكب رسمي لأول مرة مخترقاً طرقات القاهرة والفسطاط عام (424هـ/1037م) ، نُثر على العامة خمسة الاف دينار، ونُثر على الخاصة عشرون الف دينار، فكان يوماً عظيماً.[140]

وتولى معد الخلافة وهو صبي بعد وفاة ابيه في عام (427هـ/1040م) فقد أستدعى الوزير الجرجرائي القادة ورجال الدولة إلى قاعة الايوان (بناها الخليفة العزيز بالله لتقام فيها رسوم الدولة) فجاء الوزير بالصبي واجلسه على سرير الملك، وقال الوزير للحاضرين : " إن طاعة أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله شديد العلة، وهو خلف هذا الستر يسمعكم ويراكم، وقد عقد عهده والخلافة بعده لولده معد، فبايعوا له ... " .[141]

وعقب وفاة المستنصر عام (487هـ/1094م) اسرع الأفضل بن بدر الجمالي إلى اخذ البيعة لابي القاسم واجلسه على سرير الخلافة مجلس الأفضل على دكة الوزارة وبايعه بالخلافة ونعته بالمستعلي وارسل إلى أبناء المستنصر، نزار وعبد الله واسماعيل فلما جاءوا اليه وجدوا اخوهم الصغير جالس على السرير وطلب منهم الأفضل ان يبايعوا المستعلي وحضر قاضي القضاة علي بن رافع بن الكحال والشهود معه فأخذ البيعة على مقدمي الدولة ورؤوسائها واعيانها .[142]

وفي (3 ربيع الاخر عام 526هـ/ 1039م) بويع الحافظ بالخلافة بيعة عامة وقُريء سجل بإمامة عبد المجيد وركب من باب العيد إلى باب الذهب بزي الخلفاء وبايعه الناس في 3 ربيع الأول من السنة نفسها [143].

وفي (18 رجب عام 555 هـ/ 1161م) بويع عبد الله بن يوسف بن الخليفة الحافظ بالخلافة يوم وفاة الفائز لدين الله، فجاء الوزير الصالح بن رزيك إلى القصر بثياب الحزن بيد عبد الله بن يوسف واجلسه إلى جانبه والبسه ثياب الخلافة واخذت له البيعة الخاصة ثم العامة من الناس ونعته بالعاضد .[144]

136() المصدر نفسه.

137() المصدر نفسه، ج2، ص 4.

138() المصدر نفسه.

139() المصدر نفسه، ج2، ص 42.

140() المصدر نفسه، ج2، ص 43.

141() المصدر نفسه ، ج2، ص 44-45.

142() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 60؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 1136هـ)، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق : احمد كمال زكي، القاهرة، 1980، ج28، ص 657.

143() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 117؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 235.

144() المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج2، ص 288.

ثانياً: المواكب الدينية:

حرصت الخلافة الفاطمية بتنظيم المواكب الدينية ولذلك اكتسبت المواكب الدينية خصوصية لاظهار قدسية الشعائر الدينية للمسلمين. وفي المواكب الدينية والتي صُنفت ضمنها هي مواكب اعياد المسلمين واهل الذمة، كون الاخيرين من رعية الخليفة.

مواكب الحج:

لم تذكر المصادر التاريخية ان الخلفاء الفاطميين قاموا بزيارة الأماكن المقدسة سوى اهتمامهم بالاماكن المقدسة في الحجاز لاسيما الكعبة المشرفة من حيث إرسال الشمسة للكعبة وذلك من أواخر عام (362هـ/ 972م) حينما امر الخليفة المعز لدين الله بعمل شمسة للكعبة ونصبها على ايوان قصره في يوم عرفة ثم ارسلها إلى مكة في العام التالي [145]، فضلاً عن إرسال الكسوات إلى الكعبة.

وتجدر الإشارة إلى ان الخليفة المعز كان ينوي زيارة الأماكن المقدسة لاداء فريضة الحج، وقد ذكر ذلك في خطبته التي نص عليها والده المنصور عام (341هـ/ 951م) في المغرب وجاء على لسان المعز في صيغة الدعاء بعد الخطبة ما يشير إلى ذلك بقوله : " اللهم ايدنا بنصرك، وافتح لي على اعدائك فتحاً تحيي به الدين وتعز به ملة محمد سيد المرسلين، وارزقنا زيارة قبره والارتقاء على منبره، وحلول داره ، وقضاء الحج إلى بيتك الحرام ".[146]

وجدد رغبته هذه بعد قدومه إلى مصر، إلا انه كان يفتقر إلى العزيمة الصادقة والنية القوية للقيام بذلك، فقد ذكر لنا المقريزي في حوادث عام (363هـ/ 973م) ان الخليفة المعز خرج في شهر رمضان من تلك السنة على فرس ، وقد اجتمع الناس من الاشراف والقواد والعمال فوقفوا بين يديه فقال لهم : " قد انعم الله وتفضل ومكن ونريد الحج وزيارة قبر جدي رسول الله والجهاد فأي شيء يقصر عن هذا ؟ ان قلت ليس عندي رجال اني لكاذب، اللهم اعني بنية اقوى من نيتي " [147]. وربما كان انشغال الخليفة المعز بتثبيت سلطان الدولة في مصر بعد انتقاله اليها حديثاً ومخاوفه من استغلال اعدائه فرصة مغادرته البلاد بقلب نظام الحكم فيها هو الذي منعه من القيام بأداء مناسك الحج.

وشهد عهد الخليفة المستنصر بالله تطوراً بتنظيم شؤون الحج لم يحدث سابقاً فكان المستنصر يرسل الكسوة للكعبة الشريفة مرتين في السنة، وبالسياق نفسه ذكر الرحالة خسرو ان الفاطميين كانوا يقومون بدعوة واسعة إلى الحج ، فأذا اهلَّ موسم الحج قُرئت في المساجد مراسيمه، ويكون ذلك في منتصف رجب وفي رمضان وهي : " يامعشر المسلمين حلَّ موسم الحج، وسيجهز ركب السلطان كالمعتاد وسيكون معه الجنود والخيل والجمال والزاد، وقد بلغت النفقة على قافلة الحاج في عهد المستنصر بالله ووزيره اليازوري مائتي الف دينار، مع انها قبل ذلك كانت مائة الف وعشرين الفاً، ولم تبلغ النفقة قبل ذلك في دولة من الدول ...".[148]

وكان الحجاج ينزلون قبل مسير القافلة في منطقة بقرب القاهرة عُرفت ببركة الحجاج وهو عبارة عن بركة ماء وحدائق وبنى فيها منظرة، وكان الخليفة في هذه المناسبة يتجه في زيه الرسمي، ويجلس في توديع الحجاج على دكة تسمى بدكة الوقار.

ثالثاً: مواكب الاعياد الإسلامية (المواكب العظام) [149]

حرص الخلفاء الفاطميون على الظهور بمظهرٍ راعٍ لمواكب الاعياد الإسلامية العامة ويُعد الخليفة المعز أول من اضفى سمة الابهة والعظمة على مراسيم الأحتفال بصلاة الجمعة والاعياد، ويُعد أول من

145() المقريزي، المصدر نفسه ، ج1، ص 207.

146() الجوذري، ابو علي منصور، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الائمة الفاطميين، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، لا.ت، ص 83.

147() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 263.

148() سفرنامة، ص 125؛ وينظر: ماجد، الامام المستنصر بالله، ص 118-119.

149() وهي ستة ركوبات، اول العام واول شهر رمضان وايام الجمع الثلاث من رمضان وركوب الخليفة في صلاة عيدي الفطر والأضحى ويوم فتح الخليج ووفاء النيل. ماجد ، نظم الفاطميين، ج2، ص45.

استسنَّ ركوب الخليفة ومشاركته في المواكب الرسمية أيام السبت والثلاثاء وايام الجمع فضلاً عن شهر رمضان وعيدي الفطر والاضحى [150]، وان اغلب تلك المواكب كانت تنتهي إلى احد الجوامع للصلاة.

1- موكب الخليفة أول العام:

ويقصد به بداية العام الهجري ويصادف أول يوم من العام. لم يحتفل الفاطميون بأول العام في الفترة الفاطمية المبكرة، حيث ذكر لنا المقريزي في احداث عام (390هـ/ 999م) ان الفاطميين كانوا يستقبلون التهاني فقط : " في أول يوم من المحرم ظهر الحاكم ودخل الناس فهنئوه بالعام " .[151]

اعتاد الخلفاء الفاطميون على الركوب يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع إلى جامع أحمد بن طولون والى المشاهد ثم الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) بمصر ؛ ومما لاشك فيه ان ذلك كان من عادة القوم ثم صار يتكرر في الأعوام التالية ولاسيما عام (517هـ/1123م) أي في خلافة الآمر باحكام الله .[152]

وبعد ان يتم اعداد المواكب وتهيئة كل مستلزماته يخرج هذا الموكب متوجهاً إلى الجامع العتيق ويبدأ تحركه من القاهرة إلى مصر، إذ يخرج من ميدان بين القصرين ويتجه نحو باب النصر ويعود إلى الميدان نفسه من باب الفتوح وكلا البابين يقعان في الجهة الشمالية من القاهرة [153]؛ وذكر عبد المنعم ماجد: " لانعرف أي الابواب يسلكها كل موكب من ذهابه وايابه، فمن المعروف ان للقاهرة عدة ابواب، ولكننا مع ذلك نعرف اسماء الابواب التي كان موكب أول العام يخترقها " .[154]

وكان الخليفة الفاطمي اذا ما خرج راكباً وحواليه الاستاذون والامراء ويتحرك الوزير ليصير امام الخليفة فيسكع سكعة ظاهرة [155]، فيشير الخليفة بالسلام عليه إشارة خفيفة ولاتكون الا لوزير سيف فيفارقه ويسبقه إلى القصر ويكون الأمراء قد نزلوا قبله لانهم في بداية الموكب[156]، فاذا قارب الباب ضرب رجل ببوق يقال له الغريبة (لغرابة في شكلها وصوتها) ؛ ويتحرك الموكب ويمر بالطرق الرئيسة حتى يصل إلى باب الجامع العتيق فيتهيأ خطيب الجامع لاستقباله ببابه واقفاً على مصطبة فيها محراب مفروش بحصير معلق فيه سجادة وفي يده مصحف .[157]

وعند عودة الموكب يسلك الطريق نفسه حتى يصل إلى ميدان بين القصرين فاذا وصل الخليفة إلى باب القصر ودخله ثم يرجع الوزير إلى (داره).[158]

2- موكب الخليفة أول شهر رمضان:

يكون موكب الخليفة في أول شهر رمضان يشابه موكبه في أول العام وترسل الكتب إلى جميع البلاد وترد عليهم بالتهنئة [159]. ويجري الاحتفال الموكبي مثل ما كان يجري في موكب أول العام، فقد اهتم الخليفة

150() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 338.

151() اتعاظ الحنفا، ج1، ص 339.

152() ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر ، ص 58؛ وينظر: ماجد ،نظم الفاطميين، ج2، ص91.

153() المقريزي ، الخطط المقريزية، ج2، ص 241؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 79 ، طبعة القاهرة، 1963.

154() نظم الفاطميين، ج2، ص91.

155() وهنا التسكيع يُنسب إلى الوزير، ما دام الخليفة يجيب التحية بـ(السلام) وهو ما أتفقت عليه الروايات الثلاث. القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 504؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 251؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 80.

156() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 163، 166؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 504.

157() ابن الطوير، المصدر نفسه ، ص 169-170 ؛ القلقشندي، المصدر نفسه، ج3، ص502.

158() هي دار الوزارة وليست داره الخاصة، وكانت في الجهة الشمالية الغربية من القصر الكبير الشرقي بالقاهرة. ماجد ، نظم الفاطميين، ج2، هامش 2، ص 93.

159() القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 505.

الفاطمي بالخروج في موكبٍ أول شهر رمضان بعد انقضاء شعبان وهو قائم عند المذهب الاسماعيلي مقام رؤية الهلال .[160]

3- موكب الخليفة أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان:

من خلال استقراء التوقيعات – وان لم تكن وافية – ثبت ان الخليفة المعز لدين الله الفاطمي كان يخرج إلى الصلاة في كل جمعة من شهر رمضان ، حينما كانت الدولة الفاطمية بالمغرب .[161]

كان الخليفة في العصر الفاطمي الأول يصلي الجمعة الأولى قبل بناء (الجامع الانور)[162] في جامع القاهرة (الجامع الأزهر)، والجمعة الثالثة في جامع عمرو ؛ فيروى انه في عام (415هـ/1028م) خرج الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله في موكبه في أول جمعة من رمضان إلى الجامع الأزهر ثم استراح الجمعة الثانية وركب الجمعة الثالثة إلى الجامع الانور، ولكن لم يُعرف مكان الجمعة الثالثة .[163]

وفي العصر الفاطمي الثاني كان الخليفة يركب إلى الجامع الانور فيدخل من باب الخطابة والوزير معه واذا اذن بالجمعة دخل اليه قاضي القضاة ويسلم عليه فيخرج ماشياً والوزير من وراءه فيصعد المنبر واذا فرغ من الخطبة عاد إلى القصر [164]؛ وفي الجمعة الثانية يركب إلى الجامع الأزهر من القشاشين، واذا اتت الثالثة ركب إلى الجامع العتيق بمصر للخطابة في جامعها، ويركب من باب القصر ويسير بمصر وبعدها يعود إلى قصره.[165]

وتشير بعض المصادر ان الخليفة الفاطمي يصل إلى الجامع في موكب حافلٍ فيحف به قراء الحضرة فيصحبونه من القصر، وعندما يصعد الخليفة إلى المنبر وبعدها يشير للوزير بالصعود فيقبل يديه ورجليه، ثم يزر عليه قبة كالهودج وهذا الرسم لوزير سيف مسلم واذا لم يوجد قام به قاضي القضاة [166]؛ وعند الانتهاء يصعد الوزير فينزل الخليفة ويدخل المحراب.[167]

وتجلت روعة مواكب الخلفاء الفاطميين في أيام الجمع والاعياد، فكان موكب الخليفة يتقدمه الركابية على يمينه ويساره حاملين معهم السيوف والرماح والالوية والاعلام وبالقرب من رأس الفرس الصقلبيان حاملان للمذبتين ثم اجناد الأمراء ويليهم الأمراء ثم اهل الوزير ثم حاملي لواءي الحمد من الجانبين وزمام القصر من جانبه الأيمن، ومن جانبه الأيسر صاحب بيت المال، وفي وسط العسكر اسفهسلار يحث الاجناد على الحركة .[168]

4- موكب الخليفة في عيدي الفطر والأضحى:

وسُمي بعيد الحلل لان الحلل والهبات تعم جميع المهنئين بما فيهم اهل الذمة؛ ويتشابه موكب الخليفة في العيد مع موكبه في أول العام فكان خروج الخليفة من باب العيد [169]؛ واحتفلت مصر في العصر

160() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 171؛ القلقشندي ، صبح الاعشى، ج3، ص 505.

161() الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، ص 113.

162() بناه الخليفة العزيز بالله الفاطمي سنة 380هـ وسمي جامع الخطبة واكمله الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 393هـ، وافتتح رسمياً للصلاة سنة 403هـ وأطلق عليه الأنوار وعلى جامع القاهرة جامع الأزهر. ابن الطوير ، نزهة المقتلين، هـ 3، ص 172؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 237.

163() المسبحي، اخبار مصر، ص 62، 64؛ ابن المأمون ، اخبار مصر، ص 54، 81.

164() ابن الطوير، نزهة المقلتين ، ص 173-174؛ القلقشندي، المصدر نفسه، ج3، ص 503-507.

165() ابن الطوير، نزهة المقلتين ، ص 174-175؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 507-508.

166() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 79.

167() ماجد، نظم الفاطميين، ج2، هامش 3، ص 97.

168() القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 500-503.

169() وهو أحد الابواب الداخلية للقصر الكبير ويقع في الزاوية الشمالية الشرقية من القصر الكبير. ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 38؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 500؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 440.

الاخشيدي بعيد الفطر فكان الجيش يقيم عرضاً كبيراً ويتأهب الناس للاحتفال ويجلس الأمير الاخشيدي في منظرة على باب دار الامارة ويمر الجند امامه في أحسن ملابسهم ثم يتبعهم حرسه الخاص .[170]

وقد حرص الخلفاء الفاطميون على الاحتفال بعيد الفطر الذي يبدأ عادةً بعد تمام رمضان ، وفي مستهل شوال يخرج الخليفة في موكبٍ مهيب وقد ارتدى اجمل ملابسه وبمعيته كبار دولته، والوزير بباب القصر، وبعدها يركب الخليفة بهيئته من المظلة والالات من باب العيد إلى المُصلى ثم يصعد المنبر للخطبة[171]. وكان الخليفة المعز لدين الله في عيد الفطر يخرج من باب العيد إلى المصلى والعساكر والفرسان والرّجالة يقفون صفين فيدخل من شرقي المصلى إلى مكان يستريح فيه ثم يخرج محفوفاً والقوم من ورائه على ترتيبهم .[172]

وشهد موكب صلاة العيد العديد من المظاهر الدينية التي لم يسبقه احداً اليها فيحدثنا المقريزي قائلاً : " وركب المعز يوم الفطر لصلاة العيد عام (362هـ) إلى مصلى القاهرة التي بناها جوهر، وكان محمد بن أحمد بن الادرع الحسني قد بكر وجلس في المصلى تحت القبة فجاء الخدم واقاموه واقعدوا موضعه ابا جعفر مسلماً واقعدوه هو دونه، وكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلي واقبل المعز في زيه وبنوده وصلى بالناس صلاة العيد" .[173]

وقدَّم لنا المسبحي وصفاً رائعاً لركوب الخليفة الظاهر لصلاة عيد الفطر عام 415هـ قائلاً: " ركب مولانا في عساكره ورجال دولته وكان بين يديه فيل واحد، والبنود المذهبة بالقصب والطبول وسيف بين يديه الجنائب والسروج المجوهرة وجميع قواد الأتراك والخدم بالسلاح "[174]؛ ومن خلال استقراء الرسائل والسجلات التي بعثها الخليفة المستنصر بالله إلى دعاته على خروج الخليفة في مواكبٍ لصلاة عيد الفكر للاعوام 445 هـ و 476هـ و 478هـ كما جاء في السجلات رقم 13، 31، 19 .[175]

وفي عام (533هـ/1139م) خرج الخليفة الحافظ لدين الله في موكبٍ لعيد الفطر مع وزيره رضوان بن ولخشي وعليه من الملابس التي لم يلبسها أحد من الوزراء في مثل ذلك اليوم وعادا إلى القصر .[176]

ويبدو ان الوزير الأفضل قد قلَّ من دور الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمي في صلاة العيد خاصة بعد انتقاله إلى دار المُلك بالفسطاط وذكر المقريزي [177] ان ركوب الخليفة الأمر لصلاة العيد عام (516هـ) بالمصلى ظاهر باب النصر والقائه خطبة العيد " كان قد بُطِل في الأيام الجيوشية والافضلية وكان ذلك بعد عام (480هـ/ 1087م) وهو اخر تاريخ في السجلات المستنصرية [178]، فيشير إلى خبر خروج موكب الخليفة المستنصر بالله لصلاة العيد وكان ذلك بأيعاز من وزيره الأفضل الذي شارك والده في السلطة عقب هذا التاريخ .[179]

ويعد عيد الفطر من المناسبات التي تحاول الخلافة الفاطمية فيها إظهار قوتها وهيبتها ويبدو هذا واضحاً من مراسلات التهاني التي ترسل إلى ولاتها ورجالها في انحاء دولتهم والمناطق التابعة لها [180]؛

170() كاشف، سيدة إسماعيل، مصر في عصر الاخشيديين، القاهرة، 1950، ص 251.

171() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 177-178.

172() ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 98-99.

173() الخطط المقريزية، ج2، ص 366.

174() اخبار مصر، ص 65-67؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 30.

175() السجلات المستنصرية، سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى دعاة اليمن وغيرهم، تحقيق: عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954، ص 56-57 ، 74، 101.

176() المقريزي، أتعاظ الحنفا، ج2، ص 248.

177() المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 195.

178() السجلات المستنصرية، ص 71-74.

179() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 81.

180() السجلات المستنصرية، ص 103، 531 ؛ وينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج8، ص 33؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 111.

وكان الخليفة الفاطمي يزيد في عدد عساكره عند خروج مواكبه لصلاة عيد الفطر فيروي : " والزيادة ظاهرة في هذا اليوم في العساكر والاجناد والفارس والراجل وقد انتظم القوم له صفين من باب النصر إلى المصلى ".[181]

وفي مواكب الخلفاء الفاطميين بعيد الأضحى (النحر) ويكون بعد انقضاء ذو القعدة واهلَّ ذو الحجة يتهيأ الخليفة للركوب في عيد النحر وهو العاشر منه، ركب الخليفة بالزي والترتيب نفسه إلى المصلى ويكون ركوبه في ثلاثة أيام متوالية؛ فيروى ان الخليفة المعز لدين الله الفاطمي كان يركب في أيام متتابعة أولها يوم العيد إلى المصلى ثم يركب ثاني ثم ثالث يخرج من باب الريح ثم يتجه مع الوزير إلى المنحر [182] وينحر وبعدها يعود إلى القصر.[183]

وكما خرج الخليفة العزيز بالله عام (383هـ) في موكب لصلاة عيد الاضحى وبعد تأديته للصلاة وخطب وهو بكامل زيه ثم فرق الضحايا ونحر بيده [184]؛ وفي عام (398هـ/ 1011م) صلى الحاكم بأمر الله صلاة عيد النحر، وخطب بالناس ومن ثم نحر الذبائح في المصلى [185]؛ وفي عيد النحر من عام (516هـ) امر الخليفة الآمر بأحكام الله بتفريق الرسوم على ما جرت عادته بها زيادة على ما أمر به من تفرقة العين المختص بعيد النحر، وذبح ونحرَ الخليفة الآمر في ثلاثة أيام ما بين نوق وبقر وكباش .[186]

5- المولد النبوي:

اهتمت الدولة الفاطمية بالاحتفال بالمولد النبوي من خلال توزيع الصدقات والأطعمة على الفقراء والمحتاجين.

وكان الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الشريف يبدأ بعد صلاة الظهر في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول فيخرج قاضي القضاة بموكبٍ وبصحبته الشهود ويتجه الجميع إلى الجامع الأزهر، ثم يعود الموكب إلى القصر وبعدها يبدأ الاحتفال بذكر مناقب الرسول محمد .[187]

وفي عهد الخليفة الآمر بأحكام الله شهد الاحتفال بالمولد النبوي تطوراً رائعاً لاسيما بعد أن أُبطِلت على عهد الأفضل بن بدر الجمالي بما فيها الموالد الأخرى فكان " في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول عام 516هـ يخرج موكب قاضي القضاة وداعي الدعاة والقراء والخطباء بجوامع القاهرة ويقفون عند وصولهم بين القصرين، وكنست الطريق فيما بين ذلك، ورشت بالماء وفرش تحت المنظرة بالرمل الأصفر " .[188]

6- موكب عيد الغدير:

لقد احتفلت مصر به لأول مرة في خلافة المعز لدين الله عام (362هـ/ 972م) فكان الفاطميون يحيون ليلة هذا العيد بالصلاة ، " تجمع خلق من أهل مصر والمغاربة للدعاء فأعجب المعز ذلك من فعلهم وكان هذا أول ما عمل بمصر" [189]؛ واذا كان العشر الأوسط من ذي الحجة اهتم الأمراء والاجناد بركوب

181() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 178؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 511.

182() وهو الموضع الذي اتخذه الخلفاء الفاطميون لنحر الأضاحي في عيد الأضحى وعيد الغدير وكان مقابلاً لباب الريح في ركن القصر. ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد العلائي (ت 809هـ)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، القاهرة، بولاق، 1893م، ج5، ص 36؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 511؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج4، ص 103.

183() ابن الطوير ، نزهة المقلتين، ص 178؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 511.

184() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 311.

185() المصدر نفسه، ج1، ص 370.

186() المصدر نفسه، ج2، ص 205.

187() القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 499.

188() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 333.

189() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 162.

عيد الغدير وهو في الثامن عشر منه، فيركب الوزير ويدخل القصر ثم يخرج الخليفة راكباً وحواليه خاصته ويدخل من باب العيد إلى باب الملك ولا يتحرك الموكب خارج القاهرة، ويتحرك الموكب وعلى رأسه الخليفة بغير مظلة وحواليه الحرس وورائه الوزير ويجلس في الشباك والوزير قريباً من كرسي الدعوة وبعد انتهاء خطبة القاضي يخلع على الوزير وثم ينحر الخليفة الاضاحي ويتوجه إلى القصر، ويعد هذا العيد من ابهج الاعياد في مصر خلال العصر الفاطمي .[190]

ومما تجدر الاشارة اليه ان الاحتفال بعيد الغدير في العصر الفاطمي الأول كان يتم بطريقة مبسطة، فيروى المسبحي انه في عام (415هـ/1028م) " أن الناس جروا على رسومهم في يوم عيد الغدير وتزيوا بافخر زيهم وطلع المنشدون إلى القصر يدعون وينشدون على رسومهم ولم يجر منهم شيء من سب السلف بمصر ولاتجمع ولاحال يُذم " [191]؛ ثم تسكت المصادر عن موكب الخليفة الفاطمي يوم الغدير حتى عام (516هـ/1122م) عندما يقدم لنا ابن المأمون وصفاً تفصيلياً للرسوم التي اصبحت بهذا الاحتفال في خلافة الامر بأحكام الله ووزيره فيروي ابن المأمون " واستهل عيد الغدير سنة 516هـ وهاجر إلى باب الاجل – يعني الوزير المأمون – الضعفاء والمساكين في البلاد، وصار موسماً يرصده كل أحد فجرى في معروفه على رسمه " .[192]

7- موكب عاشوراء:

في العاشر من شهر محرم تتشح المدن المصرية بالسواد ويرتدي أولي الأمر والوزراء ملابس الحداد؛ وذكر المقريزي ان أول احتفال بذكرى استشهاد الامام الحسين في مصر كان على عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي عام (363هـ/ 973م) إذ خرج جماعات كبيرة من العامة إلى الطرقات في حراسة جنود المغاربة وهم يصيحون بالنياحة والبكاء على الامام الحسين وما يصاحبه من مظاهر الحزن ويعرض الناس عن ممارسة اعمالهم [193]؛ فتتوقف الحركة التجارية واكد ابن الأثير ذلك قائلاً : " لايذبح الجزارون ولايطبخ الناس...."[194].

وكانت تقع في يوم عاشوراء بعض الفتن والاضطرابات على عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أدى إلى إصدار أمر يمنع فيه خروج النساء من دورهن يوم عاشوراء إذ كن قبل ذلك يخرجنَّ ناشرات شعورهنَّ حزناً على استشهاد الامام الحسين [195] ؛ وهو أمراً يتعلق بحفظ مكانة المرأة الاجتماعية.

وتدل الشواهد التأريخية ان عامة الناس كانوا يعّبرون عن مشاعرهم في ذكرى عاشوراء بطريقة مغالية وهي تعبر عن غضبهم لسوء أحوالهم الاجتماعية، فأشار بعض المؤرخين انه في عام (490هـ/ 1096م) " تجمع الرعاع والعامة في يوم عاشوراء بمشهد السيدة نفيسة، وهدموا قبور عدة فسير الأفضل اليهم ومنعهم من ذلك وأدبَّ والي القاهرة جماعة وضربهم" .[196]

ولانملك اشارات إلى اشتراك الخلفاء الفاطميون الأوائل في مواكب عزاء الامام الحسين في بداية عهد الدولة الفاطمية، ويبدو ان هذا لم يحدث الا في وقت متأخر من عهد الخليفة الآمر، فقد ذكر ابن المأمون ان الخليفة الآمر باحكام الله جلس في ذكرى عاشوراء عام (516هـ/ 1122م) في القصر على كرسي من الجريد بغير مخدة متلثماً هو وجميع افراد الحاشية، ودخل إلى مجلسه الوزير والأمراء المقربون للسلام .[197]

190() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 187-189؛ ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص42-44؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 389.

191() اخبار مصر، ص 85.

192() ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 42.

193() المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 347.

194() الكامل في التاريخ، ج7، ص90.

195() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 348.

196() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 122-223؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 431.

197() نصوص من اخبار مصر، ص ؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 330.

وكان الخلفاء الفاطميون في هذا اليوم يحتجبون عن الظهور تعبيراً عن حزنهم، وتغلق الأسواق ويجري الاحتفال الرسمي في الجامع الأزهر في التاسع من محرم يرأسه قاضي القضاة إذ يركب في الضحى إلى الأزهر وبصحبته الشهود والأعيان ثم يحضر الوزير فيجلس في صدر المجلس وبجانبه القاضي وداعي الدعاة [198]، وفي اليوم العاشر يتجه الموكب إلى قصر الخلافة للتعزية وما يتبعه من اقامة مراسيم العزاء وتلاوة القرآن الكريم وذكر مآثر آل البيت .[199]

وكان الاحتفال بيوم عاشوراء يتم في العصر الفاطمي عند قبر السيدة كلثوم والسيدة نفيسة ويتوجهون بعدها إلى الجامع الأزهر ؛ غير ان مراسيم الاحتفال الفاطمي تغيرت عندما أُقيم المشهد الحسيني في مصر والذي أُنشأ في عهد الوزير طلائع بن رزيك عام (549هـ/ 1154م) .[200]

رابعاً: موكب أعياد النصارى

أ- عيد الغطاس:

يحتفل به اقباط مصر بذكرى تعميد السيد المسيح وهو في اليوم الحادي عشر من شهر طوبة (الثامن أو التاسع من شهر نيسان) وذلك بأن يغطسوا في النيل حتى يتطهروا ويبعد عنهم المرض [201]. ويروى ان الأمير محمد بن طغج (أمير مصر) ، حضر الغطاس عام 330هـ/ 941م وأمر باسراج الف مشعل على شاطئ النيل [202]، وفي العصر الفاطمي كانت مشاركة الخلفاء الفاطميين الأوائل محدودة ومقتصرة على مراقبة الناس ومنعهم من الاختلاط بعضهم بالبعض واصدار العقوبات بحق المتمادين كما حصل في عامي 362هـ و 367هـ على عهد الخليفة المعز والخليفة العزيز بالله؛ وفي خلافة الحاكم بأمر الله فقد شاركهم متنكراً دون ان يلاحظه احد، واكبر من شارك في الاحتفال على عهده هو الكاتب فهد بن إبراهيم النصراني عام 388هـ/ 998م . وفي العصر الفاطمي الأخير فقد شارك بعض الخلفاء الفاطميين عبد الغطاس وفقاً لسياسة التسامح، فقط كان الخليفة يخرج في موكبٍ مختصرٍ للاحتفال مع نصارى مصر بيوم رأس السنة القبطية فقد كان يركب وينزل في منظرة اللؤلؤة ليشاركهم فرحتهم ويفرقون فيه الطعام والحلوى على كبار الموظفين، وهو من الاعياد التي اشترك في احيائها المسلمون، فقد شارك الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله النصارى في هذا العيد ففي عام (415هـ/ 1025م) نزل ومعه نساءه لمشاهدة الغطاس .[203]

ب- خميس العهد:

والذي يحتفل فيه بأنجيلهم قبل الفصح بثلاثة أيام، وسمي خطأ بخميس العدس، وذلك لان القبط كانت تطبخ فيه العدس واهل الشام يسمونه خميس الارز أو خميس البيض. وهو أحد الاعياد التي بقيت في عهد الفاطميين مشاركة منهم للاقباط في شعورهم الديني .[204]

وكان الفاطميون يضربون فيه دنانير خاصة تسمى خروبة وتفرق على ارباب المناصب في الدولة، ففي خلافة الآمر أمر وزيره المأمون بضرب خراريب الذهب ووصلت إلى الف دينار وربما زادت عن ذلك أو نقصت [205]؛ وفي خلافة الحافظ ضُرِبت واحدة فقط ثم بُطِلت، وبعدها بلغ مقدار ما يضرب برسم خميس

198() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 330.

199() ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 123؛ وينظر: حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، القاهرة، 1958، ص 153.

200() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 330.

201() القلقشندي، صبح الاعشى، ج2، ص 416، طبعة القاهرة، 1963؛ المقريزي، الخطط المقريزية ، ج2، ص 443.

202() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 96؛ طبعة بولاق، 1270هـ.

203() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 266-267 وص 287 ، ج2، ص 32؛ الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص 238.

204() ماجد ، نظم الفاطميين، ج2،ص 135-136؛ الحويري، مصر في العصور الوسطى، ص 171.

205() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 365.

العهد خمسمائة دينار، كما كانت الدولة الفاطمية تطلق إلى الموظفين ونسائهم الأموال والكسوات، وفواكه الموسم مثل الرمان والموز والسفرجل .[206]

وهكذا يتبين لنا مدى اهتمام الخلفاء الفاطميين بتلك المواكب والمناسبات حرصاً منهم على استمرارية حالة الفرح والغبطة في نفوس العامة.

خامساً: المواكب العسكرية:

بارك الخلفاء الفاطميون المواكب العسكرية لانها تظهر قوة الدولة، وكان الخلفاء والامراء في هذه المواكب يحملون معهم علامات خاصة أو شعارات أو الات تدل عليهم، اما رجال الجيش والاسطول فيكونون في زيهم الكامل واسلحتهم، ففي عام (362هـ/972م) استعرض الخليفة المعز جيشه المنتصر بعد استيلائهم على أسطول القرامطة البحري في تنيس بعد حرب بينهم، وجلس المعز يستعرض جيشه المنتصر ومعهم اسرى القرامطة، حتى مروا بين يديه وهو في علو باب قصره .[207]

وكانت المواكب العسكرية تظهر عادة في اماكن محددة لعرض الجيش، روعي فيها سعة المساحة واستوائها، ومن ابرزها (خط بين القصرين) أحد أشهر خطط القاهرة وهو فضاء واسع يتسع لعشرة الاف فارس وراجل من العسكر إضافة إلى سطح بركة الجب خارج القاهرة وهو المكان الذي عرض فيه الخليفة العزيز بالله قسماً من الجيش الفاطمي دون ذهابه إلى الحرب في (12 ذي القعدة عام 384هـ/ 994م) إذ نُصبت له خيمة واخذت العساكر تسير بين يديه من صحوة النهار إلى المغرب .[208]

ومن الجدير بالذكر فأن الخلفاء الفاطميين كانوا يخرجون بمواكب عسكرية وعرض الجيش في أوقات مختلفة كتفقد الخليفة لقواته وتقوية معنويات الجند، وكان الخليفة في العصر الفاطمي الثاني يستعرض جيشه في أماكن خاصة سميت بالمناظر كالمناظر الثلاث التي انشأها الوزير المأمون البطائحي في خلافة الآمر ؛ فأذا ما خرج الجيش براً إلى البلاد الشامية، جلس الخليفة بمنظرة باب الفتوح لعرض العساكر وتوديعهم ؛ ويروى انه في عام (517هـ/1123م) ورد كتاب صاحب دمشق ظهير الدين طغتكين وصاحب حلب آق سنقر، فأمر الخليفة الآمر بأحكام الله بتجهيز العساكر في البر وحثهم على غزو الفرنج، وركب الخليفة وتوجه إلى الجامع بالمقس ثم جلس بالمنظرة [209]، واستدعى مقدم الأسطول (حسام الملك البرني) كما استدعى مقدم الأسطول الثاني وخلع عليه، وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والأسلحة وعاد الجيش إلى بستان البعل ومن ثم إلى قصره .[210]

وفي مقدمة المناسبات التي كان يُعرض فيها الجيش، الاستعراض الذي يسبق خروج الجيش للقتال، وهنا ليس بين ايدينا ما يوضح مراسيم العرض سوى وصف عام اشار اليه ابن الطوير في اثناء حديثه عن إجراءات إرسال الجيش الذي كان يرابط في عسقلان كل ستة أشهر، وفي ذلك العرض كان يتم تقسيم الجيش إلى وحدات ويقودهم أمير (مقدم)، واامير المقدمين (صاحب الخريطة) ، والخريطة هي الكشف بأسماء الجنود بصحبته تسلم اليه من ديوان الجيش مع النفقة، ليتم عرض الاجناد تحت اشراف والي عسقلان .[211]

كما ان مواكب الخليفة كانت تتضمن استعراضاً لبعض فئات الجيش من خواص الخليفة بعدتهم واسلحتهم؛ كما حرص الخلفاء الفاطميون على عرض الجيش امام رسل الدول المجاورة، اظهاراً لقولة الدولة وعظمتها ففي عام (383هـ/ 993م) أمر الخليفة العزيز بالله على إقامة موكب عرض كبير وأمر جيشه بالحضور في كامل أسلحتهم فأستعرض الجيش وهو واقف على فرسهِ تحت شراع نصب له فمرت العساكر بالخيل والخوذ قائد قائد، كل واحد بعسكره في بنوده وكانوا مائة وستين قائداً، وفيهم من عسكره ثلاثة الاف إلى الفين، وكان الغرض من هذا العرض ان يرى رسول منصور بن زيري العساكر .[212]

---

[206] المصدر نفسه، ج2، ص 442؛ وينظر: ماجد ، نظم الفاطميين، ج2، ص 133.

[207] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 209.

[208] المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 345.

[209] المقريزي، المصدر نفسه ، ج2، ص 422.

[210] ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 60-62؛ المقريزي ، الخطط المقريزية، ج2، ص 418.

[211] نزهة المقلتين، ص 41-42.

[212] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 207.

وفي عام (391هـ/1000م) أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بعرض الجيش امام رُسُل ملك الروم " فحشدت له العساكر من سائر الأعمال، ووقفوا صفين والحاكم واقف ليراهم وسار الرسول بين العساكر إلى باب الفتوح ونزل ومشى إلى القصر يقبّل الأرض في طول المسافة حتى وصل إلى الخليفة بالقصر [213]. وتكرر ذلك العرض عام (405هـ/ 1014م) حيث قدم رسول ملك الروم " فاصطفت العساكر من باب القصر إلى سقاية ريدان بعددها وأسلحتها".[214]

وقد اعتنى الخلفاء الفاطميون بعرض الأساطيل في دور صناعة الأساطيل المعروفة بمنظرة المقس [215]، واذا ما تم الاعداد يجلس الخليفة في هذه المنظرة وبين يديه الوزير، ويأتي القواد بالسفن من دار الصناعة بالفسطاط حتى يصلوا إلى المقس، ويقومون بعرض بحري حربي، وقد وصف المقريزي العرض البحري قبل خروج الأسطول المصري للغزو قائلاً : " فتتحرك السفن في النيل بين يدّي الخليفة وهي مزينة بأسلحتها ولبوسها، وفيها المنجنيقات تلعب فتنحدر، وتقلع بالمجاذيف كما يفعل في لقاء العدو، ويحضر بين يدي الخليفة المقدم والرئيس ويدعو للجماعة بالنصرة ... وتنحدر إلى دمياط وتخرج إلى البحر الملح فيكون لها ببلاد العدو صيب وهيبة ... " .[216]

وقد وصلتنا اخبار قليلة عن بعض هذه الغزوات البحرية وانتصاراتها وكيف كانت تُستقبل عند عودتها في العصر الفاطمي، وماذا كان يفعل باسراها ؛ فذكر المقريزي : " انه قدم على الأسطول مرة يقال له : حرب بن فور صاحب الحاجب لؤلؤ ، فكسب بطشة (سفينة حربية كبيرة) حصل فيها خمسمائة رجل.[217]

سادساً : مواكب أخرى:

لم تقتصر مواكب الخلفاء على الناحية السياسية والدينية والعسكرية بل شملت أيضاً مواكب الخليفة يوم تخليق المقياس، وفتح الخليج، ورحلات الخليفة للنزهة، وهناك مواكب خاصة بنساء الخلفاء واخيراً مواكب استقبال الوفود والسفراء. كل هذه المواكب تظهر مدى فخامة الخلافة الفاطمية وترفها وثرائها، وسوف نستعرض أمثلة عن هذه المواكب في العصر الفاطمي.

أ- موكب الخليفة يوم وفاء النيل أو تخليق المقياس:

التخليق لغةً " جاءت من الفعل خلق والخلوق والخلاق ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب يغلب عليه الحمرة والصفرة ..."[218]، اما المقياس : فهو عبارة عن عمود مثمن الشكل مصنوع من الرخام الأبيض يقع في جزيرة الروضة [219] بمصر تحيط به فسقية يدخلها ماء النيل وقت الفيضان، بنى المقياس في خلافة الخليفة العباسي المتوكل على الله جعفر بن المعتصم (232-247هـ/ 846-861م) فقد كلف عبد الله بن أبي الرداد (ت 266هـ) في بناء المقايس والاشراف عليه .[220]

اما عن الاحتفال بهذا العيد فيمكن ارجاعه إلى المصريين القدماء إذ كانوا يحتفلون بوفاء النيل، بأن تقدم جارية جميلة وقد أرتدت اجمل الثياب والحلي وتلقى في النيل، وعندما جاء الإسلام حرَّم ذلك فأستعاض المصريون المسلمون عن الجارية بأن ترمي في مياه النيل بطاقات كُتِبَ عليها آيات من القرآن الكريم[221]؛ وعندما جاء الفاطميون إلى مصر اهتموا بهذا الاحتفال وهو في اليوم التالي للزيادة وجددوا فيه بأن يحضر الخليفة بنفسه ليعطر المقياس بالطيب، وهذا الاحتفال لم يحدد بيوم معين في السنة انما يتوقف على ارتفاع

213() المصدر نفسه، ج1، ص 349.

214() المصدر نفسه، ج1، ص 392.

215() العمايرة، محمد عبد الله سالم، الجيش الفاطمي (297-567هـ)، ط1، دار كنوز للمعرفة العلمية، عمان - الاردن، 2010، ص 244.

216() المقريزي، الخطط المقريزية ، ج2، ص 419.

217() المصدر نفسه، ج2، ص 419.

218() ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص 91.

219() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 422.

220() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 207-208.

221() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 44.

منسوب مياه النيل، فأذا ارتفع كتب المشرف على المقياس أبناء ابن ابي الرداد إلى الخليفة وعندئذ يبدأ الاحتفال بتخليق المقايس.[222]

كان الخليفة الفاطمي يخرج وفي ركبه عشرة الاف فارس يمتطون الخيل الملجمة[223]، ويلبسون الدروع المحلاة بالاحجار الكريمة ويليها جند الخليفة، وكان الموكب يخترق شوارع القاهرة ومصر حتى يأتي منظرة الملك فيركب بالعشاري (الذهبي) بصحبة رجال الدولة وبعدها يضع الخليفة الزعفران والمسك في إناء خاص ويناوله إلى المشرف على تعطيره[224]، ثم يخرج الخليفة راكباً إلى المنظرة ومنها إلى القصر [225].

واتسمت مواكب الخلفاء في العصور الفاطمية الأولى يوم وفاء النيل بالبساطة، فيروى المسبحي انه في رجب عام 415هـ " ركب الظاهر إلى نواحي القصور وعليه عمامة ياقوتي مذهبة وثوب دبيقي بغير مظلة وعاد" .[226]

وفي العصر الفاطمي الثاني لاسيما في خلافة الآمر اتسمت المواكب بالتطور والابهة والترف، فعند زيادة النيل خرج الخليفة الآمر عام 517 هـ ليلاً ومعه جهاته واخوته والسيدات كرائمة إلى قصر اللؤلؤة [227]، ورميت العشريات وعديا بأحدها إلى المقياس ونزل صدقة بن ابي الرداد وخلّق العمود ثم ركب الخليفة البحر في العشاري ودخل من باب العيد إلى قصره.[228]

ب- موكب الخليفة لفتح الخليج:

عُرِف الخليج بتسميات عدة أوردها المقريزي وهي خليج أمير المؤمنين وخليج مصر وخليج الحاكم [229]؛ واهتم امراء مصر في العصر الاخشيدي بمناسبة فتح الخليج ويشتركون في هذا الاحتفال والذي زادت مظاهره منذ العصر الفاطمي، ويكون في اليوم الثالث او الرابع من يوم التخليق، ويكون الركوب عندما تبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً [230]؛ ويكون فتحه بداية لفتح السدود المقفولة لارواء ارض مصر.

ان ما يميز موكب الخليفة الفاطمي في هذا اليوم هو تشريفه للقاضي واعيان الشهود فيخرج الخليفة بموكبه متوجهاً إلى الجامع الطولوني وعند وصوله يكون القاضي واعيان الشهود بأستقباله فتقف وقفة قصيرة ليسلم على القاضي الذي يُقبّل رجل الخليفة ثم يدير الجميع إلى ساحل الخليج وقد نُصبت خيمة (القاتول) والتي صنعت ايام الخليفة العزيز بالله، ووضع فيها سرير الملك، وقد صوّر لنا ناصر خسرو فتح الخليج قائلاً : " كان السلطان يقف بنفسه على رأس الخليج وفي يده حربة ليضرب السد ثم يباشر الرجال بهدمه بالمعاول والفؤوس حتى ينساب الماء في الخليج " [231]، ويصاحب ذلك دقات الطبول وتدخل العشاريات فترسوا على جرفٍ خاص حتى يقارب الخليفة الخيمة ؛ وبعد الانتهاء من السماط وصلاة العصر يسير الخليفة في البر الغربي للخليج حتى يصل باب القنطرة ومنها يتجه يميناً إلى القصر .[232]

222() القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 513.

223() ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 76؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 99-100.

224() هو احد افراد الاسرة التي تولت امور المقياس . ابن مماتي، ابو المكارم الاسعد بن مهذب الخطير ابو سعيد بن منيا (ت 606هـ)، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال، القاهرة، 1943،ص 71؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 513-514؛ وينظر: ماجد، نظم الفاطميين، ج2،ص 106-107.

225() ابن الاثير، الكامل، ج7، ص 76؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 513-514؛ المقريزي، الخطط المقريزية ، ج1، ص 51.

226() اخبار مصر، ص 47.

227() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 397.

228() ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 71-72؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 512-513.

229() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 401.

230() خسرو، سفرنامة، ص 107؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 514.

231() خسرو، المصدر نفسه، ص 111-112.

232() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 201-204؛ ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 75-78؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 516-517.

وفي عام (362هـ) خرج الخليفة المعز لدين الله في موكبٍ لكسر الخليج وسار على شاطئ النيل في موكبٍ كبير وخلفه وجوه اهل البلد ثم على بركة الحبش ثم الصحراء والخندق الذي حفره جوهر الصقلي وبعدها رجع إلى قصره.[233]

وعُرِف عن الخليفة المستنصر بالله مواظبته على الركوب كل سنة وقت فيضان نهر النيل، وكان ينصب للخليفة ولرجال دولته على حافة الخليج خيم سرادق من قماش موشح (الديباج) ومكلل بالجوهر وتعرف بـ(المدورة) وصنعت على عهده وجلبت من بيزنطة، ويوضع للخليفة فيها سرير الملك ويوضع للوزير كرسي اما الباقين فيقفون صفين من سرير الملك إلى باب الخيمة [234]. وفي عهد الخليفة الآمر صار يخرج في موكبه من القصر بحرمه ويسكن اللؤلؤة، وكان الناس يخرجون من القاهرة ومصر ويضعون اخشاباً متراكبة بعضها على بعض فيجلسون فوقها للتفرج، وفي عام (518هـ/1124م) أمر الخليفة الامر ببناء دار واسعة ليتفرج الناس فيها عند كسر الخليج بالكراء .[235]

ج- المولد الآمري:

والى جانب تلك المواكب ، كان هناك موكب الخليفة الامر عند ولادة ابنه ابا القاسم الطيب عام (524هـ/1130م) إذ خرج الخليفة الآمر بموكبٍ فخمٍ فنصّب ابنه ولياً للعهد كما أحضر الكبش الذي يذبح في العقيقة وعليه ديباج وذُبِح بحضرة الخليفة، واحضر المولود فشرُف قاضي القضاة (ابن ميسر) بحمله ونُثِرت الدنانير على رؤوس الناس .[236]

د- مواكب النزهة والصيد:

عندما كانت تخرج مواكب الخلفاء للصيد تحاط عادةً بفرسان من الحرس متقلدين سيوفهم يتبعهم عدد من الجند وطائفة من الغلمان [237]، وكانوا يخرجون إلى شوارع القاهرة ومنها إلى الجامع العتيق ومن ثم إلى دار الملك .[238]

ويروى ان الخليفة المستنصر بالله خرج في موكبٍ للنزهة عام (454هـ/1061م) إلى جُب عميرة على الجُب مع النساء والحشم والكثير من العسكر [239]؛ وكان الخليفة الامر بأحكام الله يخرج للنزهة مرتين في الاسبوع يومي السبت والثلاثاء إلى متنزه قبة الهواء .[240]

هـ- مواكب نساء الخلفاء:

ذكرت بعض المصادر التأريخية مواكب البعض من نساء وبنات الخلفاء، وبهذا الصدد يروى ان السيدة ست الملك بنت الخليفة العزيز بالله كانت متسلطة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله تأمر وتنهي وتبرم وتشفع؛ وعند حضورها مأتم الخليفة العزيز بالله عام (386هـ/996م) كانت قد سارت إلى القصر بموكبٍ وركب في خفارتها رجال معدين لخدمتها وهم (القيصرية) ومعهم القاضي محمد بن النعمان وريدان صاحب المظلة، فوافوا القاهرة وكان قد منعها يانس الصقلي من دخول القصر .[241]

و- موكب استقبال الوفود أو السفراء:

233() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 401.

234() خسرو، سفرنامة، ص 108-109؛ ماجد، الامام المستنصر بالله، ص 47-48.

235() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 83.

236() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 109.

237() عبد الرؤوف، عصام، الحواضر الاسلامية الكبرى، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1976، ص199.

238() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 169.

239() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 24.

240() ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 96؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 431.

241() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 53؛ ابن سعيد ، النجوم الزاهرة في حلي، ص 54؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 318.

قد تهيء المواكب في الظروف الاستثنائية لحدوث مناسبة ما منها استقبال سفراء الدول الأخرى وهذا النمط من المواكب أشبه ما يكون بمناسبة احتفالية كبيرة يسهم فيها عامة الناس إلى جانب المرسومين بأقامته ويبذل من الوسائل كل مايجعلها توحي بالعظمة والهيبة للخلافة الفاطمية فتملئ صدور الوفود او السفراء بالهيبة والدهشة.

وكان الخلفاء الفاطميون يجهزون جماعة من الجيش وكبار الأمراء يخرجون لاستقبال السفراء يحيطون بهم ويرتبون لهم المواكب والاقامات وجميع ما يحتاجون اليه، واذا ما أقتربوا من حاضرة الدولة، كان الخليفة الفاطمي يصدر أمراً فيصطف الجند صفين؛ فعند استقبال الخليفة الحاكم بأمر الله لرسول ملك الروم باسيل (بسيل) الثاني (976-1025م) وذلك في 16 جمادي الأخر عام (391هـ/1000م) حشدت له العساكر من سائر الاعمال ووقفوا صفين من باب القصر إلى سقاية ريدان بعددها وأسلحتها والخليفة واقف ليراهم وسار الرسول بين العساكر إلى باب الفتوح ونزل ومشى إلى القصر .[242]

وكان السفراء عند توجههم إلى القصر ويندهشوا بالمقتنيات والفرش والزينة، فذكر صاحب الذخائر والتحف ،" انه لما ورد رسول بسيل الثاني إلى مصر أراد الحاكم بأمر الله ان يفرش أيوان القصر بفرش غريب ويعلق فيه تعاليق غريبة ... فكان جميع ارض الايوان وحيطانه ذهباً يتلألأ ، وعلقت في صدر الايوان العسجدة، وهي ورقة من ذهب مكللة بفاخر قطع الجوهر يضيء لها ما حولها" [243]؛ واستقبل الخليفة الظاهر عام (415هـ/1024م) رسولٍ من حاكم خراسان فجلس الخليفة في قصر الذهب بعد أن زُين وعلقت فيه الستائر الديباج، وحضر أمراء الأتراك وسائر الجند ودخل الناس أجمعون وقوفاً، وجيء بالرسول الوارد من خراسان فقَّبل التراب للظاهر فأمر ان يطوَّف به القصر كله ، فطاف جميع القصور.[244]

وتشير بعض المصادر التأريخية إلى ان الخليفة المستنصر بالله الفاطمي استقبل في مدة حكمه ثلاثة من البطاركة الاقباط وهم بسطودلوس وكيرلص وميخائيل، فيصف أحد المؤرخين إلى استقبال الخليفة المستنصر للبطريرك ميخائيل، فقد أرسل الخليفة إلى البطريرك في الإسكندرية عشاري خاص لينقله إلى مصر، فلما وصل انتظره خلق كثير، ودخل إلى القاهرة من باب اسمه البحر في موكب رسمي يحيط به القراء الذين لعلهم يرتلون الانجيل، وحينما وصلوا إلى قصر الخلافة خرج اليهم صاحب الرسالة وقال: أمير المؤمنين يرد عليكم السلام، فسكع البطريرك أي انحنى قرب الأرض ثم دخل البطريرك على الخليفة المستنصر بالله وكانت أمه (السيدة رصد) واخته جالستين وبين ايديهم الطيب فضمخوه به وقالوا : "بارك علينا وعلى قصرنا " فبارك عليهم ودعا لهم وبعدها خرج وسار موكب البطريرك إلى دار الوزير ولقي الترحيب نفسه ثم رجع في صحبة والي القاهرة.[245]

وقد أستقبل بلاط الخليفة العاضد لدين الله سفيري عموري الأول ملك بيت المقدس، "وقد أُستقبل السفيران بحفاوةٍ ، فأجتاز الردهات والابواب التي يقف عليها حراس سودانيون اشداء بسيوفهم اللامعة والحدائق المليئة بالحيوانات والطيور النادرة، واخذا يسيران من قاعة إلى اخرى، حتى ظهرت امامهما قاعة العرض الذهبي وقد أسدل عليها ستارة من الحرير مرصعة بالذهب واللألئ، ومثلت عليها صور بشرية كثيرة وهيئات طيور وحيوانات.. ثم فتحت الستارة فظهر الخليفة جالساً على مقعد من الذهب وقد أرتدى ملابس فاخرة لم يتح لكثير من الملوك إذ ذاك لبسها، ويحيط به ابرز مستشاريه وقد كساهم الوقار ... " .[246]

المبحث الثالث: مظاهر مراسيم بدء المواكب

ـ الاستعدادات الأمنية للمواكب:

اتخذت إجراءات امنية لحماية شخص الخليفة الفاطمي من اعدائه فضلاً عن اظهار الخليفة بمظهر الابهة واللائق امام أعين العامة لإجلاله، وبهذا الصدد كان الخليفة المهدي يحيط نفسه بأبناء البيت الفاطمي،

242() المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 349، 392.

243() الذخائر والتحف، ص 150-151.

244() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 15.

245() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 266؛ الخطط المقريزية ، ج1، ص 335-336؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص 18-19؛ ابن المقفع، سايروس، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، نشر: بسي عبد المسيح وبرمستو، القاهرة، 1943، مجلد 2، ج1، ص 174.

246() بول، ستانلي لين، سيرة القاهرة، القاهرة، 1950، ص 128-129.

ولاشك ان جلَّ هؤلاء كانوا قادة وامراء الجند، فعندما استقبل المهدي لانصاره بقيادة الداعي ابي عبد الله الشيعي الذي قدموا إلى سجلماسة " فلما اصبحنا جلس امير المؤمنين ... ووقف القائم بالله عند يمينه متقلداً سيفاً ملتصقاً بالسرير ووقف اصحاب الامام دونه ... " [247]؛ ويروى ان الخليفة المعز عندما فرغ من خطبة صلاة العيد " انصرف في عساكره وخلفه أولاده الأربعة بالجواشن والخوذ على الخيل بأحسن زي " .[248]

ونتيجة لكثرة خروج الخلفاء والوزراء والقواد في مواكبٍ لذا اكثروا من الركابية المرافقة لوجوه الدولة، فقام الخليفة الحاكم على قتل خمسين رجلاً من الركابية في يومٍ واحدٍ مما اضطرها إلى البقاء في بيوتهم ، فخرج سائر وجوه الدولة مع دوابهم والخدم بدلاً من ان يسير بين ايديهم ركابي او اكثر .[249]

وكان يرافق الخليفة في مواكبه حرسه الخاص لحمايته من الاغتيال المفاجئ الذي يديره اعداؤه والتطاول عليه ولإضفاء هيبة ووقار لمواكبه لتعرفه الناس، فكان يسير خلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ اعقابه وهم يحملون سيوف بديباج احمر واصفر يقال لها (سيوف الدم) لضرب الاعناق، وكانوا يعرفون في العصر الفاطمي الأول بـ(السعدية) فكانوا يحملون سيوفاً محلاة ويعرفون بأصحاب السيوف الحلي، وفي خلافة الحاكم كانوا يتولوا قتل من يؤثر بقتله [250]، ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات وعددهم ثلثمائة عبد .[251]

وصحب الخليفة المستنصر بالله في مواكبه لعيدي الفطر والأضحى الجيش بجميع طوائفه فرقة فرقة وهم المغاربة (المغرب)، والمشارقة (الترك والديلم)، والسود وهم عبيد الشراء وربما من السبايا من بلاد النوبة، والبدو من صحاري مصر، ويصحب الموكب ضيوف الخليفة من ابناء الملوك والأمراء والذين قال عنهم خسرو انهم جاؤوا إلى مصر من اطراف العالم ولايعدّو من الجيش .[252]

وبعد هذه الاستعدادات الامنية ينظم وقوف العامة ، وتتقدم المواكب والي القاهرة الذي يكون في أول الموكب إلى آخره ماراً وعائداً لفسح الطرقات وتسيير الركبان فيلقى في عودة الاسفهسلار ماراً وعائداً لحث الناس إلى الحركة منعاً للتزاحم .[253]

آداب المسايرة في مواكب الخلفاء الفاطميين:

جرت العادة عند ركوب الخليفة الفاطمي في موكبه ان يُسايره بعض ابناء البيت الفاطمي وهو ما ذكرناه آنفاً ، او من طلب مسايرة الخليفة من وزيرٍ او قاضٍ ولم تقتصر المسايرة لمواكب الخليفة من قبل علية القوم وانما شمل عامة الناس، ففي موكب الخليفة الامر بأحكام الله لفتح الخليج كان هناك قوم يقال لهم (النختارية) [254] او (صبيان الخف) يقومون بالعاب تسلية للترويح عن النفس وتسلية الناس. فعند خروج موكبه وجوازه على جامع ابن طولون، وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان العشاري حبلاً طويلاً موضوعاً في الطريق وفيه واحد في زي فارس وفي يده رمح وفي رجليه اخر ممسكها وهو يتقلب في الهواء[255]؛ كما يركب البعض منهم خيولاً ويقومون بحركات سريعة اثناء سيرها وينزلون من أسفل الفرس ثم يركبونه من الجهة الأخرى.

247() القرشي، عماد الدين ادريس الحسن (ت 872هـ)، عيون الاخبار وفنون الاثار، تحقيق: ايمن فؤاد سيد، القاهرة، لا.ت، ج7، ص 61.

248() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 367.

249() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 392.

250() المصدر نفسه، ج1، ص 359.

251() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 148.

252() سفرنامة ، ص 111.

253() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 164.

254() وسموا صبيان الخف، وهم جماعة من أهل برقة لهم حارة خاصة سميت بأسمهم ومثلوا احد طوائف العسكر الفاطمي؛ وهم يؤدون العاباً بهلوانية . المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 39؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 198؛ وقد وصفهم ابن المأمون إلى جنب المنافقين بقوله: " ولعبت المنافقون والتحسارية (يكثر الاكل) " . اخبار مصر، ص 89.

255() ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص198؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج1، ص 457.

ونفهم من ذلك ان يتحلى المسايرين للمواكب بأخلاق طيبة، ولايُعكر مزاج الخليفة او الأجواء العامة من البهجة والوقار فالحفاظ على هذه المناخات يتطلب وجود اشخاص دمثي الخلق ولاشك ان هذه الأجواء مليئة بحراس الخليفة الشخصيين الذين يُراقبون العامة ويمنعونهم من التجاوز على المواكب في حضرة الخليفة الفاطمي. فكان للخليفة الفاطمي اشخاصاً وافراداً يسايرونه في مواكبه، وكان المسايرون يمتطون دواباً ومنهم قاضي القضاة واعيان الشهود وعندما يسلم القاضي على الخليفة يكون الشهود في الفرجة بمقدار أربعة اذرع عن الخليفة؛ وبهذا الصدد وصف ابن الطوير موكب الخليفة الفاطمي في عيد الغدير " يخرج الخليفة راكباً وحواليه الاستاذون المحّنكون رجالة ... ويجد في دهليز الباب قاضي القضاة والشهود ، فسلم القاضي من تقبيل رجله الواحدة التي تليه والشهود امام رأس الدابة بمقدار قصبة " .[256]

وان شروط مسايرة الخلفاء هي : تقبيل الأرض بين يدي الخليفة فذكر القاضي النعمان انه لما استقضائي المنصور بالله بالمنصورية واقمت بها كنت اذا وقفت للسلام عليه قبلتُ الأرض بين يديه تعظيماً له واجلالاً لمكانه [257]. وانهم بذلك يقّبلون ايدي الائمة وهم يروون عن بعض اسلافهم ان قبلة اليد سجدة لان الفاعل لها يخفض رأسه كما يخفض في الركوع.[258]

وذكر انه من آداب مخاطبة الخليفة، انه اذا دعت حاجة الوزير إلى مخاطبة الخليفة في امرٍ قام من مكانه، وقرب منه منحنياً على سيفهِ ولاتتعدى هذه المخاطبة مرة او مرتين او ثلاثة.[259]

ويشير القاضي النعمان ان الخليفة المعز قد أذن للحجيج بالخروج وكان قد اجتمع عنده جماعة من رسل الدعاة بالمشرق، وأمرهم بعدها بالانصراف مع الحجيج ووافق خروجهم ركوبه فمشوا اليه حتى صُفوا بين يديه وقبّلوا الأرض[260]؛ وذكر خسرو : " وكان الناس عند مرور الخليفة (المستنصر بالله) - يخرون سجداً لتقبيل الأرض " [261]؛ وفي موكب الغدير عام (516هـ/1122م) وعند خروج الوزير المأمون إلى باب الملك وجد الخليفة قد جلس قاصداً لقائه وقد ضُربت المقرمة فأمره بالمضي إليها، وعندها نهض ليُقّبل الأرض .[262]

وان الانحناء وتقبيل رجلي الخليفة، وتقبيل الأرض امامه، يرى الفقيه القاضي النعمان بن حيون " ان تقبيل الأرض بين يدي الخليفة لايعني العبادة وانما الاعظام للامام. وان على المتحدث مع الامام ان يراعي بعض الاداب الخاصة بالائمة بأن يكون ناظراً للامام من تحت طرفه وان يكون استفتاح كلامه بحمد الله والصلاة على الرسول وعلى الائمة .[263]

من ذلك يتضح ان لمسايرة الخلفاء الفاطميين آداب ورسوم ينبغي الالتزام بها لانها تعكس ما يتصف به الخليفة الفاطمي من سمو ومكانة عالية وما ينبغي ان تكون طبيعة المواكب من الاجلال والاحترام ولاسيما مرور الخليفة وسط الحشود الكبيرة التي تحيط موكب الخليفة من كل الجهات.

الطيب والتطيب:

من بين مظاهر الاحتفال تهيؤ الخلفاء الفاطميين للمواكب بأستخدام الطيب، وكان ذلك مظهراً من مظاهر البذخ في العصور الفاطمية؛ ففي موكب الخليفة العزيز بالله بصلاة العيد استصحب معه الجنائب وعليها السروج الذهب، والسروج بالعنبر" [264]. وفي عام (380هـ/990م) خرج الناس في ليالي الجمع والنصف من شعبان إلى جامع القاهرة والبخور في مجامر الذهب والفضة .[265]

256() ابن الطوير، المصدر نفسه، ص 187-188.

257() المجالس والمسايرات، تحقيق : الحبيب الفقي واخرون، تونس، 1978، ص 57.

258() المصدر نفسه، ص 59.

259() القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 500.

260() القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص 236.

261() سفرنامة ، ص 411.

262() ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 43.

263() القاضي النعمان، الهمة في اداب اتباع الائمة، تحقيق: محمد كامل حسين، ج2، ص105.

264() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 367.

265() المصدر نفسه، ج2، ص 392.

وقد تبادل الخلفاء الفاطميون العطور والطيوب مع خلفاء وملوك دول اخرى، فقد اهدى الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله عام (420هـ/1029م) إلى المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد صاحب المغرب، هدية فيها من غرائب وطُرف بلاد الهند والصين وخراسان من سائر انواع الطيب والجوهر وغير ذلك .[266]

ونتيجة لتوطد العلاقات بين الصليحيين والفاطميين على عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله فقد أرسل علي الصليحي إلى المستنصر بالله عام (454هـ/1062م) شحنت بالمراكب ثلاثين يوماً ومنها الذهب والفضة والمسك والعنبر والكافور والعود الهندي الرطب[267]؛ وعلى عهد الخليفة الآمر فقد حصل على هدايا واشتملت " من الطيب من البلاد اليمنية تحمل برمتها إلى الايوان فينقل منها إلى الافضل، والطيب المطلق للخليفة من جملتها".[268]

كما استعمل الطيب بكثرة في العصر الفاطمي الاخير، فقد وصل عدد المبخرين في مواكب الخلفاء نحو ستة، ثلاثة من اليمين وثلاثة من الشمال وكل منهم مشدود الوسط وفي كمه فحم لتعجيل المدخنة والمداخن فضة .[269]

ويروى ان ابن الراهب (ت 524هـ) الذي علا شأنه أيام الخليفة الآمر بعد مقتل وزيره المأمون، فكان " يتطيب بعدة مثاقيل مسك كل يومٍ، فكان يشتم ريحه من مسافة بعيدة".[270]

واستعملت الطيوب نساء الخلفاء وبناتهم فعلى سبيل المثال، خلفت السيدة ست مصر بنت الحاكم بأمر الله الفاطمي حين ماتت عام (455هـ/1063م) نيفاً وثلاثون زيراً صينياً مملوءاً جميعها مسكاً مسحوقاً .[271]

توزيع الهبات والعطايا على الآخرين:

حرص الخلفاء الفاطميون أظهار كرمهم إلى العامة والخاصة في اثناء مسيرهم في مواكبهم المختلفة، سواء اكانت تلك المواكب سياسية لكسب رضا العامة من الناس او الخاصة من امراء البيت الفاطمي والقادة وكبار رجال الدولة ليظهروا من خلاله بمظهر السخاء والترف سواء كانت تلك المواكب دينية إسلامية او نصرانية وهي ترمي إلى كسب ود عامة الناس من المسلمين وغير المسلمين.

فقد خلع الخليفة المعز لدين الله على قائده جوهر خلعة مذهبة وعمامة حمراء وقلّده سيفاً، وحمل بين يديه خمسين الف دينارا [272]؛ وكانت خلع الخلفاء كالفاطميين على الامراء الثياب الدبيقي والعمائم، وعلى الوزير عوضاً عن الطوق عقد جوهر، فيذكر ان الخليفة المستنصر بالله خلع على امير الجيوش بدر الجمالي عام (466هـ/1074م) العقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق .[273]

وكان الخليفة الحاكم بأمر الله قد اكثر من الركوب لاسيما في رمضان عام (405هـ/1014م) فركب في يومٍ واحدٍ ست مرات وصوفيته يرقصون امامه مقابل حظوة ينالونها منه .[274]

266() ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص 70.

267() المصدر نفسه، ص 71.

268() ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 90-91.

269() المصدر نفسه ، ص 91.

270() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 108.

271() ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص 240.

272() المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 207.

273() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 347.

274() ابن سعيد المغربي، ابو الحسن نور الدين علي بن محمد (ت 685هـ)، المغرب في حلى المغرب (القسم الخاص بشعراء مصر)، ق2، ص 9.

وتشير المصادر إلى عطاء الخلفاء الفاطميين لأمرائهم والعامة والجند، فيروى ان الخليفة العزيز بالله خلع على قائده منجوتكين التركي عند خروجه إلى بلاد الشام عام (380هـ/ 991م) فحمل اليه " مائة قطعة من الثياب الملونة"[275]؛ ومن بين خلع الخليفة الآمر إلى قائده محمد بن فاتك البطائحي عام (515هـ/ 1121م) الملابس الخاص الشريفة وطوقٍ من ذهب مرصع وسيف ذهب .[276]

وكان الخلفاء الفاطميون يهادون دعاتهم في اليمن الهدايا والاعطيات، فيشير ابن الطوير ان اول نحيرة ينحرها الخليفة هي التي تقدّد وتُسيّر إلى داعي اليمن علي بن محمد الصليحي ملك اليمن فيفرقها على المعتقدين بإمامة الآمر، وزن نصف درهم إلى ربع درهم وكان ذلك في عام 445هـ إلى عام 524هـ وهي السنة التي قُتِل فيها الآمر .[277]

ويذكر ان الخليفة الحافظ لدين الله كان يخلع على دعاته الزريعيون في عدن الخلع والنحائر التي كانت تنحر في عيد النحر لدعوتهم للخليفة الحافظ [278] . وهذا دلالة واضحة على اهمية دعوة اليمن للخلافة الفاطمية.

اقامة الولائم في حضرة الخليفة الفاطمي:

عُني الخلفاء الفاطميون بتقديم الطعام للعامة والخاصة،فقد كانت موائد الطعام على عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله عام (362هـ/ 975م) اثنتان في عيد الفطر، وفي عيد النحر مرة واحدة ، ويعبئ السماط في الليل وعليه انواع المأكل واذا فرغ من صلاة العيد مُدَّ السماط المذكور ثم السماط الثاني من فضة تسمى (المدّورة) وهي مائدة خشبية عليها أواني الذهب والفضة .[279]

ويعد الخليفة العزيز بالله أول من عمل مائدة في رمضان يفطر عليه أهل الجامع العتيق واقام طعاماً في جامع القاهرة لمن يحضر في رجب وشعبان [280]، واستجد للفطرة داراً عرفت بدار الفطرة تعمل فيها الولائم والموائد؛ ولما توفي الأفضل وتولى ابن المأمون بنى دار الفطرة خارج القصر قبالة باب الديلم .[281]

وكان الخليفة المستنصر بالله يقيم في قصره ولائم عيدي الفطر والأضحى، ففي عيد الفطر تعمل الفطرة للعامة وهي حلوى من دقيق وفستق ولوز وتمر وبعدها تحضر إلى القصر وتنثر كالجبل الشاهق، اما المأدبة الرسمية فتنصب على مائدة من فضة حولها موائد اشبه بالدكك وترص عليها اوانٍ من الفضيات تملأ بالاطعمة، اما الخبز فيرص على حافتي الموائد، وقد ضُرب بمطبخ الخليفة المستنصر بالله الامثال وهو يقع خارج القصر ويتصل به بنفق تحت الأرض ويعمل فيه خمسون طاهياً .[282]

وعلى الرغم من مظاهر الحزن في عاشوراء الا انه يمد فيها سماط الحزن المتكون من العدس الأسود والملوحات والاجبان والخبز الأسود المغبر لونه لاجل الحزن ولايضع الطعام على مدورة مرتفعة بل على سفرة تقرش على الارض من الادم والطعام فوقها بدون مرافع ويحضر الخليفة السماط بعد الظهر بغير زينة[283]. وكان الوزير الافضل قد حضر سماط عاشوراء عام

275() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 170.

276() ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 20؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 347.

277() ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص 184؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 512-513.

278() القلقشندي، المصدر نفسه، ج3، ص 513.

279() ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 101-102.

280() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 176؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 126.

281() القلقشندي، صبح الاعشى، ج3، ص 524-525.

282() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 123.

283() ابن المأمون، نصوص من اخبار مصر، ص 15؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص331.

(515هـ/ 1121م) وجلس على بساطٍ من صوف وقد عمل في الصحن الذي بين يدي الافضل إلى آخر السماط عدس اسود ثم بعده عدس مصفى ثم قدمت صحون جميعها عسلُ نحلٍ .[284]

ويروى ان الخليفة الآمر حضر سماط الحزن عام (517هـ/ 1123م) ثم دعى الحاضرون إلى تناول الطعام ولايجبر أحد على تناوله ، فأذا انتهت المائدة خرج الجميع إلى دورهم .[285]

284() ابن ميسر، اخبار مصر، ص 15.

285() المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 331.

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة إلى ما يأتي:

1- لم تكن المواكب في العصر الفاطمي امراً جديداً، فقد سبقهم في ذلك مواكب الخلفاء العباسيون في بغداد عاصمتهم بمدة طويلة، فضلاً عن مواكب الأمراء في مصر على عهد الاخشيديين ومن قبلهم الطولونيين ؛ غير ان الخلفاء الفاطميين قد طوروا كثيراً من هذه الرسوم التي زادت ابهة عما كانت موجوداً عند الامويين والعباسيين، كونها استحدثت مواكب جديدة في الاعياد الدينية، مثل عيد الغدير، ويوم عاشوراء ومواكب يوم وفاء النيل وفتح الخليج وغيرها، أضفت تطوراً جديداً.

2- لعل اهم مظاهر تهيئة المواكب في العصر الفاطمي هي تهيئة الافراد المصاحبين للخليفة لحمايته من خطر الاغتيال، او الظهور بمظهر القوي امام العامة لكسب الاحترام والهيبة في نفوسهم، ولعل تهيئة اماكن العامة من الناس لاستقبال مواكب الخليفة الفاطمي تعكس حالة التنظيم والترتيب المسبق.

3- كما ان تنوع المواكب في العصر الفاطمي يشير إلى التطور الحاصل في رسوم الخلافة ، فالمواكب السياسية هدفها مبايعة الخليفة الفاطمي الجديد ، اما العسكرية فالهدف على ما يبدو اظهار قوة الخلافة ، ولاقدرة على حماية الرعية مسلمين وغير مسلمين ، وتمثل بقية المواكب مثل مواكب النزهة وخروج نساء الخلفاء واستقبال الرسل تظهر فخامة وثراء وهيبة الخلافة.

4- لاشك ان الاستعدادات الامنية لخروج المواكب الغاية منها حماية شخص الخليفة ورجالات الخلافة، ويصاحب ذلك اداب مسايرة مواكب الخلفاء وضرورة الحفاظ على الوقار والبهجة والامتناع عن الحديث.

الهوامش